هكذا تكلم هادي العلوي عن الكرد وكردستان

جمع وتقديم/ الدكتورة وهبية شوكت محمد

اعداد وتحقيق/ حسين عثمان نيركسجاري

الفهرست

الموضوع — الصفحة

1- هكذا ولد هذا الكتاب / حسين عثمان نيركسجارى

2- الاستاذ هادي العلوي صديق الشعب الكردي/ د. وهبية شوكت

3- حوار مع هادي العلوي/ اجرى الحوار/ سربست نبي

4- اصل الاكراد والايديولوجيا القومية/ هادي العلوي

5- جروح الماضي المتجددة/ هادي العلوي

6- مقدمة لكتاب (ميديا)/ هادي العلوي

7- تفسير سطحي للقضية الكردية/ هادي العلوي

8- القضية الكردية ولعبة القوى الاقليمية/ رد على مقالة هادي العلوي

9- مقدمة لكتاب أحمدى خاني/ هادي العلوي

10- رسالة الى (دوغان دويار)/ هادي العلوي

11- عرب العراق اكثر تسامحا/ هادي العلوي

12- براءة الى اطفال كردستان/ هادي العلوي

13- من ينابيع الحكمة الشيوعية/ هادي العلوي

14- حوار مع هادي العلوي/ اجرت الحوار/ مجلة صوت كردستان

15- جواب على مقالة هادي العلوي/ زكي خيري

16- الامة الكردستانية عبر التأريخ/ د. وهبية شوكت

هكذا ولد هذا الكتاب

بقلم/حسين عثمان نيرگسجارى

بادئ ذى بدء لأطول على القارئ بالكتابة عن فقيدنا الخالد هادي العلوي ولا أطنب في ذكر ومضات من شمائله وأفكاره ومؤلفاته، فالدكتورة وهبية شوكت ذكرت في مقدتها لهذا الكتاب غيضا من فيض هذا المنار للثقافة والأخلاق الرفيعة، والذي كان في أحكامه- واحياناً قاسية- لا يخاف لومة لائم ولاسيف ظالم.

اني كأحد المولعين بهذا المعين الصافي، ترجمت الى الكردية كتابه الرائع (المستطرف الجديد) كمرئات لتراث الحضارة الاسلامية والتي كنا نحن الكرد- رغم ارادتنا- جزءا منها بغثه وسمينه، وامتدادا لذلك الولع ساهمت ايضاً وباخلاص لاصدار هذا الكتاب واليكم قصة ولادته:

في شهر تموز/ 2004 نشرت جريدة(ريوان) التي تصدرها (المركز الثقافي النسائى)في السليمانية لقاء مع الدكتورة وهبية شوكت محمد الاختصاصية في العلاج النفسي وبمناسبة عودتها –بعد طول الغربة- الى كردستان.

ذكرت في ثنايا لقائها، انها عاشت مدة في سوريا وهي قريبة من هادي العلوي، وزارته مرات عديدة وهو يعاني من أمراض المت به، كما وذكرت الدكتورة وهبية ان هادي العلوي أوصاها بجمع مقالاته المنشورة التي تخص الشعب الكردي، وطبعها، وكان صديقا صدوقا للكرد.

بعد قرائتى تلك الجريدة وأقوال الدكتورة، تبلور في ذهني ان أجد أولا احدى دور الطباعة والنشر لعلي أحصل على وعد منها لطبع تلك المقالات ضمن كتاب، وذلك وفاء لهذا الانسان الذي نذر نفسه وحياته لبعث التراث واستخدامه لتحقيق العدالة وخدمة الحضارة الانسانية، وكذلك اغناء للمسيرة النضالية لشعبنا الكردي ورفدها بأراء كبار المثقفين العرب أمثال هادي العلوي وغيره.

فوجدت ضالتى لدى صديقى العزيز (فؤاد مجيدميسري) رئيس (مؤسسة حمدي للطباعة والنشر) فرحب بالفكرة ووعدني مشكورابطبعها حالما تصله تلك المقالات.

وهنا اقدر جهد واخلاص الدكتورة وهبية شوكت لتحملها عناء جمع تلك المقالات والقصاصات التي لولاها لضاعت أو نامت في بطون المجلات والجرائدفي أحسن الاحوال، كما وانا مطمأن ان الدافع وراء هذا الجهد وفي جميع مراحله ومفاصل انجازه، ماهو الاحبنا للصدق والانسانية والتي تتجلىفي كتابات هادي العلوي باجلى مظاهرها ومعانيها.

فبعد وصول المقالات بدأت متاعبي تتصاعد،حيث البحث عن عنوان الدكتورة، فظهرت انها تعيش في اربيل، واتصلت باحدا قاربها، وبواسطته مشكورا تمكنت من الاتصال هاتفيا بالدكتورة وهبية ، فرحبت بالفكرة ووعدتني بارسال تلك المقالات، فوصلتنى بعد شهور وفي كانون الاول /2005 .

كانت المقالات مستنسخة من المجلات والكتب الصادرة خارج العراق، وكان استنساخ اكثرها رديئا ومحكوكا، فبذلت جهودا مضنية ليحقيقها وتصحيحها.

هناك ملاحظة نسترعي انتباه القارئ الكريم اليها وهي:-

ان هادي العلوي واهتداء برواد اخرهم (أحمد أمين ومهدي المخرومي)لا يهتم بقواعد النحو العربية، ويعتمد في كتاباته على (النحو الساكن)، ضمن اتجاهه نحو تقليص الهوة بين لغة الكلام والكتابة في العربية, ولهذاخففت من وطأة التصحيح النحوي

ولذا

(الاستاذ هادي العلوي)
صديق الشعب الكردي

بقلم / د. وهبية شوكت

مفكر ومناضل عراقي ، فهو علم من اعلام الفكر وقطب صوفي مجدد لتراث الصوفية الاسلامية المتمثلة في شخصيات اقتحامية جريئة مثل : الجنيد ، الشبلي ، الحلاج – شهيد الفكر الاسلامي ، عبد القادر الگيلانى ، ابن الرومي ، ابن العربي واحمدي خاني . وفي نفس الوقت كان الاستاذ العلوي ماركسياً – لينينياً ومتأثراً بالكونفوشية الصينية والافكار الماوية وكان خالد الذكر متشعب الاهتمامات يحمل هموم شعبه والمستضعفين على الارض في قلبه ، وفي صراع دائم مع الزمن والمرض كي ينجز اعماله الفكرية القيمة ، التي يؤمن بها .

ان الاستاذ كالشخصيات المذكورة آنفاً شخصية اقتحامية قلقة على مصير القضايا التي يؤمن بها وذو جسارة أدبية في مواجهة الباطل واحقاق الحق ولا يبالي للومة لائم في اظهار الحق.. وكان يقول عن نفسه : (انا لا احب ان اوصف بالطيبة ابداً ، فانا شرس مع الاعداء اللطيفين واعداء الانسانية والمستضعفين والمستغلين لقوت الفقراء والكادحين)، وكانت هذه الصفة تخلق له عدم الارتياح من اناس يعرفونه حيث لم يفهم الكثيرون أسلوبه وعدم سلوكه الدبلوماسية وسياسة اللين تجاه إعوجاج في سلوك احد من السياسيين او المثقفين . لانه لم يعمل ابداً لاغراض شخصية او شهرة او مصلحة خاصة ، بل كان جل عمله من اجل الصالح العام والعدالة الاجتماعية والانسانية المعذبة .

كانت القضايا العامة التي يدافع ويكتب عنها ويشغل فكره ووقته بها كثيرة متشعبة وصميمية ...وهو بالمرصاد لكل اعوجاج يشعر به من جهة او شخصية سياسية او ثقافية ، انا لم ار انساناً مثله مملوءً حياً وعميقا للانسانية ، والحق والعدالة الاجتماعية ، والدفاع عن المبادئ والقيم الانسانية الاصيلة ، ويهدي كل جهده ووقته الثمين ويهدر صحته مثل الاستاذ العلوي، وكان حقاً انساناً فذاً فريداً من نوعه.

استاذي ابو حسن .. انا منذ طفولتي اعتدت ان اودع الاحباء من الاهل والاصدقاء وبأثر وحزن بالغ جداً ، رغم مهنتي الطبية ، لكنني لم اتعود بالتعامل مع الموت والفناء الجسدي وتوديع الراحلين الاعزاء بشكل طبيعي ، رغم كثرة الراحلين والمودعين قبل الاوان في بلادي وكنت ارجو من صميم قلبي الا اشهد رحيلك الاخير ، وان اودعك وانت حي ترزق مواظباً على عملك القيم الدؤوب . وكنت آمل ان تقهر الموت وانت في غيبوبتك في المستشفى ، رغم التقارير الطبية ، نعم كنت تتشبث بقوة ارادتك في قهر الموت والتغلب على النزف في دماغك المشغول دوماً بهموم الانسانية المعذبة . لكن لم يتحقق الامل وكان وداعك الاخير مؤلماً جداً .

حينما فقدنا نحن الكرد استاذنا ابو حسن ! ونحن نتعرض لمؤامرة دولية على حركتنا التحررية في كوردستان الشمالية والمتمثل في اختطاف احد القادة البارزين وهو عبد الله اوجلان باتفاق بين المخابرات المركزية الامريكية ، التركية والموساد الاسرائيلية في قرصنة دولية خاصة .

عرفت الاستاذ الفاضل من خلال كتاباته القيمة ، وكصديق لشعبنا الكوردي حين كنا في محنتنا الانسانية المروعة نصرخ ونستغيث دون ان يسمعنا احد ولا تمتد الينا يد الاستغاثة لا من الشرق الاشتراكي من ميراث لينين في (حق تقرير المصير للشعوب نصير الانسانية المعذبة) ، ولا من الغرب الديمقراطي ولا من العالم الاسلامي الذي كان من المفروض ان يكونوا من اخوتنا في الله والدين من العرب والمسلمين .

لكن مد لنا هذا الانسان الجليل ذو الحجم الصغير والقلب الكبير يده باصابعه الدقيقة المعروفة ، حين اعلن الاستاذ هادي براءته على صفحات الجرائد والصحف ، لان الطيار الذي قصف بالسلاح الكيمياوي اطفال كوردستان من جلدته . كان هذا بلسماً شافياً لنا نحن الشعب الكوردي المجروح وفي مصابنا الجليل.

يقول الاستاذ في مذكرة براءته وفي معاناة وآلام انسانية وباستحياء:- "ايها الطفل الكوردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة ، على فراشه او في ساحة لعبه ، هذه براءتي من دمك اقدمها لك، معاهداً إياك الا اشرب نخب الامجاد الوهمية لجيوش العصر الحجري.اقدمها لك على استحياء ينتابني شعور بالخجل منك ويجللني الشعور بالعار امام الناس ، لانني احمل نفس هوية الطيار الذي استبسل عليك ، وليت الناس اراحوني منها حتى يوفروا لي براءة حقيقية من دمك العزيز ، انا المفجوع بك ، الباكي عليك في ظلمات ليلي الطويل ، في زمن حكم الذئاب البشرية ، لم نعد نملك فيه الا البكاء ، اقبلها مني ايها المغدور ، فهي براءتي اليك من هويتي. "1988/9/23 . ونشرت هذه البراءة في جريدة السفير اللبنانية .

نعم ان هذا الانسان المفعم انسانية مد لنا يده وقدم براءته من كونه من قومية الطيار الذي اسقط اطناناً من قنابل الموت من الغاز الكيمياوي على اطفال كوردستان وهم لاهين عن الشر في اعماق براءة طفولتهم في فراشهم او ساحات لعبهم .. نعم مد لنا يده في وقت كنا نحن في امس الحاجة الى كلمة طيبة دون مصالح تقال في حق شعبنا لتحقن جراحنا العميقة التي تعرضنا اليها بفعل سياسة الابادة الجماعية لامتنا الكوردستانية في حين مع الاسف الشديد لم تصدر ولا إشارة من اخواننا في الله والدين من العرب والمسلمين من البلدان المجاورة والبعيدة ، بينما يوصي الدين بسابع جار.

نحن الشعب الكوردستاني المسلم والجار والحليف الازلي للعرب والمسلمين كنا نعاني من حملات الابادة الجماعية بعمليات الانفال والسلاح الكيمياويي وتم دفن (182)الف مسلم كردي تحت رمال صحراء عرعر وهم احياء ، بين الحدود العراقية وبلد فيها قبلة المسلمين والدين الاسلامي يحرم وأد البنات ، وكان الكورد من المدافعين عن الاسلام دوماً.

كانت مدينة حلبجة مركزاً دينياً مقدساً للمسلمين الكورد منذ دخول الاسلام الى كوردستان مثل المدن الاسلامية المقدسة الاخرى في العراق : النجف، كربلاء ، كوفة وسامراء ، كما انجبت المدينة خيرة ابناء الشعوب الاسلامية من العلماء ، الباحثين في التراث الاسلامي والشعراء .

تعرضت مدينة حلبجة الى ابشع جريمة انسانية في التاريخ بعد هيروشيما وناكازاكي ، وكانت الضحايا خمسة الاف من النساء والشيوخ والاطفال الابرياء ،حيث قصف خمسة الاف مواطن كوردستاني ، عراقي مسلم بالسلاح الكيمياوي في 16-1988/3/17 باوامر ارتجالية لانسان من اعتى المجرمين على الارض ...فيما انعقد المؤتمر الاسلامي في الجارة العزيزة (الكويت ، الملدوغة من نفس جحر الافعى حامي البوابة الشرقية بعد سنتين "اللهم لا شماتة")...

نعم انعقد المؤتمر الاسلامي في الكويت الجارة وعلى شمرة عصا من ارض كوردستان المسلمة المنكوبة في 1988/3/24 اي بعد اسبوع (سبعة ايام فقط)من كارثة (حلبجة المسلمة)المروعة وأستقبل (مهندس) الابادة البشرية عبد الله المؤمن ووفده (المسلم)جداً في الكويت بالاحضان ...نعم استقبل هولاكو قرن العشرين بالاحضان ... واستغرق المؤتمر الاسلامي هذا ثلاثة ايام ولم تكن آهات ضحايا حلبجة بعيدة عن اسماع المسلمين المؤتمرين ولا جفت الثرى في المقابر الجماعية للضحايا المسلمين بعد وآلام وانين المصابين تملأ الاجواء .

وقد تم في هذا المؤتمر مناقشة احوال المسلمين في اقاصي الارض في الصين ، الشيشان ، بوسنةو هرسك، بلغاريا والبانيا . وتطرق المؤتمر الى المسلمين في آسيا ، افريقيا ، امريكيتيين الشمالية والجنوبية ، استراليا ونيوزلاندا ، لكن مع الاسف لم تثر ولا صدرت نأمة او آهة على ضحايا (حلبجة) و(عنب) والقرى المجاورة ولخمسة الاف مسلم تم ابادتهم في طرفة عين في بلد جار ومسلم وفي مؤتمر اسلامي خالص !! ... رغم الاية القرانية (إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)والقول: "لافرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى ".

علماً ساهم الكورد منذ دخول الاسلام الى كوردستان بشكل فعال في بناء الحضارة الاسلامية والدفاع عن الاسلام . فقد كان ابو مسلم الخرساني احد القادة البارزين والمساهمين في بناء صرح الخلافة الاسلامية وكان معظم قادة صلاح الدين الايوبي من الكورد ومن ابناء جلدته عند تحرير القدس . وقد تم تأسيس مدينة القدس (اور مسليم - اورشليم) بمساهمة اجدادنا من الحوريين والحثيين معاً- (وسميت القدس هكذا اور- بأسم مدينة اور السومرية ومسليم – احد ملوك سومر العظام باعتبار الكورد منحدرين من السومريين اساساً) ، كما قدم الكورد اعلاماً في المدارس الدينية الاسلامية وفلاسفة مثل : عبد القادر الگيلانى ، ابن الرومي وابن خلكان واحمدي خاني ....وغيرهم .

واستاذنا الفاضل هادي العلوي ، كعلامة ومفكر حر بعيد عن العصبية القبلية ، ذكر اعلام الكورد باحترام بالغ... ولم ينس حتى قطاع الطرق الكورد حيث ذكر في قاموسه التراث الاسلامي في فصل(الشطار والعيارين)، (اتصف قطاع طرق كوردستان بالشجاعة وكانوا لا يؤذون النساء والاطفال والضعفاء)... كما ذكر في مداراته الصوفية عن عبد القادر الگيلانى وابنه واحمدي خاني . وقد عاتبه احد المثقفين الكورد من لبنان لعدم ذكر كمال جنبلاط في مداراته كأحد الصوفيين ، وذكر الاستاذ هذه الملاحظة لي وقال : بأنه اخبر الشخص هذا بأنه من المعجبين بكمال جنبلاط كفيلسوف وصوفي وسياسي لبناني بارز يريد الكتابة عنه في مجال آخر.

في آذار عام 1995 حين وصلت الى دمشق – سورية ، كان املي اللقاء باستاذنا الكبير هذا ، وقد لعبت الصدفة دورها في اللقاء هذا ، حيث نشرت مقالة لي بعنوان (الامة الكوردستانية عبر التاريخ) في مجلة صوت كوردستان وفي نفس هذا العدد اجرت المجلة مقابلة للاستاذ العلوي.."وطلب هو شخصياً من الصحفي رؤيتي كفتاة كوردية . وعدني الصحفي ان يأخذني الى زيارته يوماً.

حين صدرت روايتي الموسومة (مسيرة الحرية في كوردستان)، اخذت نسخاً منها الى مكتب الحزب الشيوعي العراقي والكوردستاني في دمشق كهدايا ، هناك اخبرني احد الرفاق بوجود الاستاذ هادي العلوي مع الرفاق في الغرفة المجاورة واوصى الجميع بعدم التدخين ، حين قدمت نسخة الاستاذ مع الاخرين رفض الاستاذ اخذه مني وطلب ان ازوده واقدم له نسخته في البيت ، لانه يروم التحدث معي في امور تخص المرأة الكوردستانية . وكان لي شرف زيارته مع احد الرفاق ولا تسعفني الذاكرة – ان كان هو خالد سليمان كان احد المقربين الى الاستاذ او ابو نورس (يسن طه) وهو ايضا كان من المقربين الى الاستاذ الجليل . وكنت وجلة من لقائه في البداية ، لكن تواضع هذا الانسان الكبير جعلني انسى وجلي وارتباكي . وحين قدمت له نسخته مهداة الى الاستاذ الفاضل الكبير اعترض على الاهداء وقال : انا افضل ان تكتبني "صديق الشعب الكوردي ، بدلا الاستاذ".

كان استاذنا الكبير صديقا للشعب الكوردي ، وقد لمست هذه الحقيقة بعد لقاءاتي التالية معه. ونحن الشعب الكوردي ندين له كثيراً، لانه كان دائم البحث والتقصي في بطون الكتب القديمة ، ويكتب كل ملاحظة قيل بحقنا من قبل الكتاب والمؤرخين المسلمين ، وقد اراني بعض هذه الملاحظات مثال ذلك : في فصل العيارين والشطار في كتابه التراث الاسلامي يقول: (سار قطاع الطرق الكرد على نهج العيارين الاخلاقي ، فكانوا يقتصرون على مهاجمة القوافل ولا يتعرضون الى الافراد الا اذا كانوا من التجار ، لكن انضباطهم لم يكن في مستوى مثيلهم العيارين . وكان افراد منهم يرتكبون جرائم قتل غير مبررة . وكان الكثير من قطاع الطرق من الكورد ومنهم الشيعة.)

وقد حافظ قطاع الطرق الاكراد على اخلاقياتهم الموروثة الى حقبة قريبة فكانوا لايسرقون النساء ولا المسنين ولا الفقراء . وقد استفاد التجار من هذه الشمائل ، فكانوا يسيرون نساءً مع قوافلهم العابرة لكوردستان حتى يتحاشوا هجوم قطاع الطرق (للمجتمع الكوردي بجملته مثل اخلاقية كهذه توارثها الاكراد حتى السنوات الاخيرة ، حيث بدأ يتخلخل بظهور البرجوازية الكوردية كطبقة تابعة مشوهة التركيب), وفي ثنايا أحاديثة ذكرلي معاني لبعض الكلمات:-

(الشعوبية : فالموجود اليوم هو شوفينية متقابلة بين قوميي الشرق الاوسط تقوم على المعادلات الآتية :

- القومي العربي يعادي الاكراد والفرس ويحتقر الهنود (والاخير يكثر في العراق)
- القومي الكوردي يعادي العرب والفرس والاتراك
- القومي الفارسي يعادي العرب والاكراد
- فالقومي التركي يناوئ العرب والاكراد والارمن . ولهذه العصبيات بواعث خاصة تختلف عن بواعث الشعوب الاخرى.).

كما ذكرلي مرة عن ملاحظة كتبها عن الكورد احد الكتاب المسلمين بأسم (القلقشندي)على ما اعتقد حيث قال : الكورد شعب لولا خلافاتهم فيما بينهم لملأوا الدنيا وسادوها، قبل سنة من رحيل المفكر الفاضل هذا نصحني صديق ان ازور الاستاذ اكثر كي اتزود من غزارة علومه ومعارفه العميقة ، في حقيقة الامر كان بودي ان ازوره يومياً ، لكنني كنت محرجة ، لان صحته كانت سيئة وهو يعاني من ازمات الربو لم تسمح له بارهاق نفسه ، ثم ان وقته لم يكن ملكه بل وقفاً لاعماله الفكرية الكثيرة القيمة وبحثه الدائم ، ولم اكن ارغب سرقة وقته الثمين هذا منه ، رغم انه كان يسعد بلقائي دوماً. كان في صراع دائم مع المرض والزمن كي يتمكن من انجاز اكبر قدر ممكن من الاعمال قبل ان يرحل نهائياً .

كان طموحي الفكري ورغبتي في الحصول على المعارف الغزيرة منه يدفعاني الى مجالسته ، لانه كان يخوض في جميع المواضيع الفكرية ، السياسية والاجتماعية بحماسة الانسان الذي يريد تبليغ واجب رسالته ، ومن جهة اخرى كان من واجبي كطبيبة ان لا ارهقه ، رغم انني لم احاول يوماً ان افرض نفسي عليه كطبيبة وخاصة كان مرضه ليس في مجال اختصاصي .

كان الاستاذ هادي يعمل في اتجاهات شتى ، من جهة كان مواظباً على اصدار سلسلة قاموسه اللغوي – الاجتماعي ، ومن جهة اخرى كان يحاول ارساء قواعد (الجمعية المشاعية) ، التي اسسها من ربح كتبه والمساعدات التي تصله من الاصدقاء من شتى انحاء العالم . كان يجمع المال ليقدمه الى العوائل العراقية المحتاجة في الوطن والمهجر . كما انه كون لجنة الدفاع عن الرافدين (نهري دجلة والفرات)، واصدر بهذا الصدد كتابه الرائع القيم (الكتاب الاحمر) عن الرافدين . كما ساهم مع بعض رفاق الحزب الشيوعي السوري ، باصدار كتيب عن دور الماسونية العالمية في المنطقة وخاصة في سورية . كذلك كان ينوي تشكيل لجنة من المفكرين والمثقفين العرب لنصرة الشعب العراقي ، وقد سار شوطاً كبيراً في هذا المجال . كما انه اصدر دورية الجمعية المشاعية المسماة (نداء الخلق) وقدم فيها برنامج العمل . كما انه كان دائم المتابعة للصحف والمجلات واخبار المعارضة العراقية وكان يرد على المقالات والممارسات التي لاتعجبه .

كان ينهض صباحاً مبكراً ويعمل في كتبه يومياً. وحين ينتهي من برنامجه يستقبل العراقيين ولم يكن راضياً عن مستوى عملهم وعن بعض المسؤولين عنها.. وحين عقد مؤتمر الرابطة في منزلي الذي كان في دمشق . دعوته الى المؤتمر ووعدته لو حضر المؤتمر هذا معنا ، لاعمل جهدي على اراحته وعدم مضايقته ، لكنه ابى لان صحته لم تسمح له بالمكوث في مكان مغلق لمدة طويلة . وقد ارسل رسالة الى المؤتمر وبصوته لانتخاب اللجنة الخاصة . ومن الجدير بالذكر حضر هذا المؤتمر الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي والاستاذ فائق بطي . وقد كنا انا والدكتورة خيال الجواهري (ابنة الشاعر محمد مهدي الجواهري)من النساء الحاضرات في المؤتمر . وتعاوننا سوية . كان علي الطبخ وعليها غسل الصحون طبعاً بمساعدة الزملاء ايضاً . في هذا المؤتمر عرضنا على الاستاذ هادي ان يكون رئيساً فخرياً للرابطة لكنه رفض لكثرة انشغاله.

وقد دأب الاستاذ هادي العلوي على كتابة (تقديم) لاي كتاب يصدر عن الشعب الكوردي ، وكان الكتاب الكورد ، خاصة السوريون واللبنانيون يلجأون اليه دائماً ، ولم يبخل بطلب على احد رغم اعماله الكثيرة ، كان يتابع الاخبار السياسية والاقتصادية في العراق والدول العربية والعالم بدقة تامة لاتفوته شاردة او واردة ، كما كان بالغ الكرم بتقديم يد المساعدة

الى الكتاب والمثقفين ، خاصة الشباب منهم مهما كانوا مبتدئين ، حيث كان يوفد اليه المثقفون الكورد في سوريا من المنشغلين باحياء التراث للشعب الكوردي وكوردستان.

انسان في ضخامة اعماله وصحته المتدهورة لم يمتنع عن الاهتمام باعمال الاخرين مهما كان متواضعا . نصحني احد الاصدقاء ان اطلب منه تقديم الكتاب التاريخي (ميديا) للمؤرخ السوفيتي (ئي م.دياكونوف) الذي ترجمته من الروسية الى العربية ، كنت محرجة ان اشغل وقته الثمين ، لكنه اتحفني (بتقديم) عن الكورد وكوردستان بكل رحابة صدر . في الواقع انه اهتم بهذا الكتاب كثيراً ، واخبرني بان المشروع بالغ الاهمية و حثني على نشره باية وسيلة كي يستفيد منه المثقفون من قراء العربية للاطلاع على تاريخ كوردستان القديم . كما اخبرني بأنه نشر كتاب احمدي خاني (مم وزين) ترجمة واعداد (جان دوست) في طبعة جديدة ارخص كي يتمكن الجميع من اقتنائه.

وقد سر كثيرا حين حملت اليه نسخة من كتاب "ميديا" وعرض علي مساعدته في توزيعه ، لكنني اخبرته من ان الناشر يريد توزيع الكتاب باليد كي لا يخسر خصم المكتبات ، تأسف كثيراً وقد عرضت عليه مرة ان اساعده في كتابة ما يمليه علي من اعماله وهي على وشك الطبع ، شكرني واخبرني بأن جميع اللذين عرضوا مساعدتهم هم من الكورد. وكان فرحاً جداً لان الكورد في (عفرين) دعوه للاقامة بينهم.

نشرت رسالة العراق "من اصدارات الحزب الشيوعي العراقي في بريطانيا"مقابلة مع ممثل العلاقات للحزب الشيوعي اليوناني الرفيق "نيقولاغاريس"، وذكر هذا في مقابلته ، بان القضية الكوردية في العراق مفتعلة من قبل الغرب . وحين زرت (أبو حسن) تحدث عن الامر بانزعاج شديد ويطلب مني ترجمة رده عليه الى اليونانية ، لكنني اخبرته بأنني لا اتقن اليونانية وبامكاني ترجمة رده الى الانكليزية وارسال الرد بالفاكس الى الحزب الشيوعي اليوناني . اعطاني الرد وحين ذكرت له بأن اليونانيين على علاقة طيبة مع الحركة التحررية في كوردستان الشمالية وانا قابلت وفداً كبيراً من البرلمان اليوناني أتوا لزيارة قادة الحركة في دمشق - غضب الاستاذ وقال : قد تكون جهات سياسية من اليونانيين ، لكننا لا يمكننا غض النظر عن فهم خاطئ لاصدقائنا فالحزب الشيوعي اليوناني من المفروض ان يكون من الاصدقاء ، لذلك علينا افهامهم قضية كوردستان بشكل واضح كي لايفهموا القضية بشكل خاطئ.

فعلاً ترجمت رد الاستاذ هادي الى الانكليزية وارسلته بالفاكس الى الحزب الشيوعي اليوناني في اثينا . في العدد التالي رد الرفيق غاريس على الرد واعتذر كثيراً عن موقفه من الموضوع وللاستاذ هادي العلوي ، لكن مع الاسف الشديد كان الاستاذ في المستشفى وفي غيبوبته الاخيرة قبل الرحيل، واعتقد ان رأيه كان صائباً ، حيث اشترك وزيرخارجية اليونان واخبر المخابرات الامريكية والموساد وتعاون مع الميت بالقبض على عبد الله اوجلان ، وباعنا اليونانيون نحن الكورد الحلفاء الاستراتيجيين الى اعدائهم الاستراتيجيين الاتراك وبثمن بخس جداً.

وقبل رحيله باسابيع اخبرني بأنه دعي الى مؤتمر عن الاصولية من قبل حزب العمل التركي (اليساري)ورفض هو الحضور للاسباب التي ذكرها في فاكس الاعتذار عن الحضور ، وهو عدم اعتراف الحزب هذا بوجود الشعب الكوردي ، كان الاستاذ في اواخر ايام حياته قد تنزه ولبس الدشداشة واهديته انا زوجاً من (الكلاش) الكوردي لخفته وفرح بالكلاش وقد قرر لبسه مباشرة . وكان الاستاذ يرفض الهدايا المقدمة إليه لنفسه ، فكل المساعدات والمبالغ التي كانتا تصله يقدمها الى العوائل المحتاجة في دمشق والعراق . وكانت تصله المساعدات من جميع انحاء العالم من الاصدقاء . وقد وصلته كميات كبيرة من الرز من الهند . مع ذك حين كنت احمل اليه الخبز العراقي من المخبز القريب من بيتي ، كان لايعارض في ذلك وكان هذا التصرف مصدر اعتزازي وهو يعاملني كصديق. اخبرته يوما عن مشروعي لكتابة مسرحية عن الصوفي الاسلامي شهيد الفكر الحلاج ، فرح كثيراً وقال:- الحلاج من شهداء الفكر الاسلامي وهو مثل مسرحية "هاملت" يمكن عمل اعمال كثيرة

عنه ، ومباشرة اعارني مصادر عن الحلاج وديوانه وكتاباته (الطواسين) ، في الواقع كتبت هذه المسرحية "انا الحق"عن الحلاج للاسباب التالية :

1- لتشجيع الاستاذ هادي العلوي لي ، ومحاولتي لتقديم شيء يسعده .

2- لكون الحلاج من مدينة "سنه"الايرانية اصلاً ، وبما ان هذه المدينة كوردستانية ، قد يكون الحلاج كوردياً اصلاً .

3- يعتبر الحلاج شهيد الفكر الاسلامي الحر . واستشهاده من قبل الجندرمة ايام الخلافة العباسية بطريقة بشعة جداً ووحشية ، جعلني اتأثر بشخصية هذا المفكر ..

بعد كتابة المسرحية هذه ، طلب مني الاستاذ ان ينقحها لي شخصياً وكنت اقرأ عليه مشهدين في اليوم وهو ينصت الى النص بأهتمام بالغ ويتأثر كثيراً لبعض المقاطع وتظهر على وجهه علامات الانبهار وهو يقول :" الله ، الله " .... وقد انهينا المسرحية وبقي المشهدان الاخيران منها وهما مشهد محاكمته ومن ثم تنفيذ الحكم عليه بعد جلده وتقطيع اطرافه ، ثم تم قطع رأسه ، قبل انهاء المشهدين اخبرني الاستاذ ، بان له مقابلة مع (med. T.v) غداً ، لذلك لم انو الحضور غداً دون ان نعمل في المسرحية ، لانه سيرهق نفسه اثناء المقابلة ،و اعتذرت عن الحضور ، لانشغالي بعمل آخر، وحين اتيت الى منزله في اليوم التالي بعد المقابلة ، اخبرتني الجارة ، بانه في المستشفى ، ومن ثم نقلوه الى المستشفى واغمي عليه اثناء المقابلة . وكانت هذه غيبوبته الاخيرة .

وقد ذكر لي الاستاذ اكثر من مرة بان كتاباته عن كوردستان والكورد سيتركها للكورد للاهتمام بها ووصاني بها مراراً ، لذلك رايت من واجبي ان اجمع هذه الكتابات من الصحف والمجلات المختلفة وقد ساعدني الاخ (خالد سليمان) والرفاق في مكتب الحزب الشيوعي العراقي في دمشق ، ومنظمة تحرير فلسطين "مجلة الحرية"وكذلك صحفيو ومثقفو الكورد السوريون اذكر منهم (سربست نبي) ، الاخ (عمر ئوسو) واتحفني الاستاذ (صادق جلال العظم) بمقالة ايضاً . رغم انني استميح استاذي الفاضل عذراً ، لان العمل قد لايكون كاملاً وهو الذي احب الكمال ، وانا بالغة الخجل من هذا العمل المتواضع لاقدمه تخليداً لذكرى هذا الانسان الكبير.

لا اعرف شيئاً كثيراً عن حياة الاستاذ وميلاده ، لكنه عاش فترة طويلة في الصين واعتقد انه اتقن الصينية ، وكان متأثراً بميراث الصين الحضاري والثقافي وبالكونفوشسية خاصة ، حين ذكر لي مرة بأنه زار مرقد الصوفي (ابن عربي) في دمشق وصلى ركعتين كونفوشسية على قبره . كما كان يجل ماوتسي تونغ، وكذلك يجل "الملا مصطفى البارزاني الخالد "وكذلك كان متأثراِ جداً بعبد القادر الگيلانى وابن الرومي وابن العربي واحمدي خاني وهم جميعاً من المتصوفين الكورد ، كذلك كان متأثراً بشهيد الفكر اللبناني "حسين مروة" ويذكره دائماً بشيخنا وكان الاستاذ عراقياً اصيلاً يحب العراق كثيراً ودون مبالغة ماركسياً – لينينياً قلباً وقالباً رغم انه لم يتخذ مركزاً في الحزب الشيوعي العراقي ، لكنه كان بعلاقة جيدة جداً معهم وكذلك مع الحزب الشيوعي السوري .

وكان يرفض الجوائز والالقاب ، فقد اهدوه جائزة ، لكنه رفض اخذه وذكر بأنه يكتب ليس من اجل الجوائز والمكرمات ، بل كواجب رسالة يريد تقديمها للناس .. وقد ذكر لي مرة بأنه لايتمكن الاتصال بالاردن ، لان الملك حسين يعاديه شخصياً ، كما انه لم يتقبل اية هبة من جهات سورية رسمية وكان يكره التقرب الى السلطان ، يكره التعصب القومي ويكره التقرب الى امريكا .. وكان منزعجاً لزيارة الرفيق حميد مجيد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي الى الولايات المتحدة قبل الحرب . كما انه كان منزعجاً لتردد احدى الشخصيات السورية المثقفة الى السفارة الامريكية في دمشق . لم يكن بعلاقة حسنة مع أخيه الاستاذ حسن العلوي ، رغم ان اولاد الاخير كانوا يحبونه كثيراً ، لم يرزق الاستاذ ابو حسن بالاولاد وكان ينقصه ان تكون له ابنة تهتم بها . كانت كتابات الاستاذ لها رواج كبير وقد اخبرني عن ان ربح كتبه تدر عليه مبلغاً محترماً ، من كتبه التي اتحفني بأسمها ناشره الخاص الاستاذ عبد الرحمن النعيمي (ابو خالد) هي :-

1- قاموس الانسان والمجتمع

2- قاموس الدولة والاقتصاد

3- قاموس المصطلحات الصناعية والتكنولوجية

4- شخصيات غير قلقة في الاسلام

5- فصول عن المرأة

6- المرئي واللامرئي في السياسة والادب

7- المدارات الصوفية

8- الكتاب الاحمر عن الرافدين (نهري دجلة والفرات)

9- كتيب عن الماسونية العالمية

10- مقالات في الصحف والمجلات وخاصة (مجلة الثقافة الجديدة) والتي جمعتها بنفسي لهذا الكتاب بعد جهود البحث والتقصي في أدبياته القديمة وهي كالاتي :

1- براءة .. الى اطفال كوردستان – رسالة العراق ، العدد 64 / تشرين الاول 1988

2- رسالة فاكس الى دوغان دوبار

3- تفسير سطحي للقضية الكوردية – رسالة العراق العدد 43 تموز 1998

4- اصل الاكراد والايديولوجيا القومية – حركة التحرر الوطني الفلسطيني "الفتح" الارشيف المركزي

5- رسالة كتبها هادي العلوي الى زكي خيري "من ينابيع الحكمة الشيوعية ".

6- عرب العراق هم الاكثر تسامحاً مع الاكراد .

7- هادي العلوي لصوت كوردستان – العدد 25 .

8- الامة الكوردستانية عبر التاريخ – مقالة منشورة لعدة هذه المواد د. وهبية شوكت محمد في نفس عدد صوت كوردستان.

9- جروح الماضي المتجددة .

★10- حوار مع هادي العلوي – ملامح اولية على طريق – الحوار العربي – الكوردي – سربست نبي.

11- تقديم – بخط هادي العلوي لكتاب "ميديا" ترجمة الدكتورة وهبية شوكت محمد الى العربية من الروسية – المؤلف:- المؤرخ السوفيتي ئي – م. دياكونوف .

12- تقديم لكتاب "مموزين"احمدي خاني اعداد جان دوست .

13- لا اصدقاء سوى الجبال– ترجمة راج آل تقديم/هادي العلوي.

14- القضية الكوردية ولعبة القوى الاقليمية – رسالة العراق عدد 45 عام 1998 .

علماً ان الاستاذ هادي العلوي من مواليد 1932 – حائز على بكالوريوس في العلوم الاقتصادية – عاش مدة في الصين وكان املي ان اكتب اكثر عن حياته ، لكنني مع الاسف لم اتمكن من لقاء زوجته الفاضلة ام حسن بعد رحيل الاستاذ ، لانها دائمة العكوف بجوار قبره ، ولم اجد احداً بدقة ام حسن لأسأله عن حياة الاستاذ الكبير ، خاصة كنت في عجلة من امري لانشغالي بالسفر الى كندا حينذاك.

1999/3/2 - دمشق

حوار مع هادي العلوي.... الحوار العربي الكردي موضوع ذاته
ملامح أولية على طريق الحوار [1]

أجرى الحوار: سربست نبي

مع بدايات هذا القرن وإثر مؤامرة التقسيم الاستعمارية في إتفاقية سايكس بيكو 1916 , برزت المأساة القومية السياسية للشعب الكردي. وانفجرت لاحقاً مكتسبة أبعادها وتعقيداتها السياسية تحت وطأة ارث القهر والاستغلال الموروث عن ظلم وتعسف القوى الامبريالية والرجعية والانظمة الشوفينية الغاشمة.

لقد عملت هذه الانظمة على تكريس تجزئة واقعه القومي التاريخي – الجغرافي (كردستان). وسعت الى مصادرة واغتصاب ماضيه وحاضره التاريخي, بل وراحت تغيبه وتدفعه قسراً خارج سياق التاريخ الحضاري العالمي الشمولي. واجهض تطوره الحر المستقل والطبيعي. وحرم هذا الشعب الذي تعرض للقمع ومختلف المجازر وحروب الابادة من ابسط الحقوق الانسانية والطبيعية, ففي ظل هذه الانظمة حسب المرء ان يكون كردياً , حتى يكون مشبوهاً, منبوذاً ساقطاً – لقيطاً تاريخياً – يستحق الادانة في نظرها بوصفه إنساناً من المرتبة الأخيرة . ذلك وفقاً للكوجيتو الشوفيني السائد و المتداول: (أنا كردي , إذن أنا مدان ومشبوه...الخ) هذا الوجود (ككردي) هو سبب وجودي كفرد (مقموع) وتأسيساً على هذه العلاقة أو (القضية) يمكن أن نحكم على درجة تقدم الحريات الانسانية والديمقراطية في أي بلد من البلدان المعنية. إذن أن طابع هذه العلاقة تشير الى أي حد أصبح الانسان – المواطن محروماً فعلياً ومجرداً، تلك شروط حياة الاكراد السياسية والاجتماعية في أصقاعهم تلخص وتختزل (كل لانسانية) شروط الحياة في تلك المجتمعات .

لقد تعرضت الشخصية الكردية في ظل تلك الاوضاع لعملية استلاب ثقافية – اجتماعية عميقة, و بات الشعب الكردي يعيش غريباً عن راهنيته و فاعليته وماهيته التاريخية. بل وفرض عليه خارجاً تاريخ ليس بتاريخه حتى انه لم يعد يملك حاضر نفسه الى حدٍ كبير. وبالقدر ذاته أخذت القضية الكردية بالتشيؤ ومعها أصبحت موضوعاً للمساومات الدبلوماسية بين تجار الاسلحة والبترول واصحاب المشاريع الثورية المنحرفة, وسماسرة الاشتراكية, سواء أقوميين كانوا ام براغماتيين ام كوسموبوليتيك ...الخ.

ماتزال القضية الكردية –مستمرة في حدتها الى يومنا هذا في ظروف بالغة التعقيد والصعوبة وهم – الكرد – كما في الامس, ملقون مهملون, مرتمون في مآسيهم, في مجازرهم, في حروبهم القبائلية وهذا الامر بات (فاضحاً و مألوفاً) كما يقال. والموقف الراهن يشير بأختصار؛ الى ان القضية الكردية هي اعقد قضية سياسية و اصعب محنة انسانية يجري بها العصر الى أعتاب القرن الحادي والعشرين.

* * *

أما عن دورنا ومسوغات حديثنا نحن (المحظوظين جداً) بهذا التأريخ المشترك بين العرب والكرد – وهذه تمتلك نعومة تاريخية فائقة وعجيبة – منذ زمن عمر بن الخطاب والفارس العتيد (عياض بن غنيم) الذي اقتحم كردستان تحت راية الاسلام, نحن المبتلون بعشق شعار الاخوة العربية الكردية – أو الكردية العربية – وهذه الاخيرة لا تقل عن سابقتها نعومة و نفاقاً ...الذين كنا نصغي باهتمام زائد ونقرأ كثيراً عن مغامرات صلاح الدين الايوبي, مستمرين ذات الوقت في الصمود والعيش وسط تلك الاوهام وهذه الانقاض وآثار التدمير والمجازر باحثين عن الشروح وتعليلات نستخرجها من هنا وهناك لكل تلك الممارسات والافعال والمسلمات القائمة.

---

[1] نشرت في مجلة الحوار/سنة/1994/2

ببساطة؛ علينا – كلا الطرفين – أن نعيد النظر في الأسس التي بنيت عليها علاقتنا ونظرتنا التقليدية الى تاريخنا وتراثنا, فالوقائع أصبحت اليوم تواجه حقائقنا العتيقة صراحة وكل خيالنا التاريخي. ازاء كل ذلك علينا أن ندرك مؤكدين ان كل تاريخنا الماضي لايزال يلعب دوراً حياً ومؤثراً في حاضرنا. وهذا الأخير لن يكون أقل شأناً في المستقبل الذي لن يكون مشرفاً إلا بفضل اعترافنا بحقيقة ليست أقل اهمية ووضوحاً مما سبق وهي؛ الاعتراف المتبادل في الحق في الاختلاف و المغايرة؛ وبالحق في التماثل و التكافؤ, واقعياً و نظرياً.

★ ★ ★

من نافل القول الاشارة مجدداً الى تفاقم مسائل القوميات والنزوع القومي في ظروفنا هذه, والتي ارتدت اهمية بالغة وجوهرية بالنسبة الى الوضع الراهن. بحيث غدت عنصراً مؤثراً من مكونات السياسة العالمية الراهنة واصبحت تمثل حلقة او عقدة هامة لاحداث وازمات المرحلة الحالية, ولا سيما فى دول العالم التابع وآسيا، بناءاً على ماسبق فإن الخصائص التاريخية المشخصة للواقع العربي تسبغ بدورها على المسألة الكردية صفة أكثر إلحاحاً فهي تمثل جزءاً أو شرطاً حيوياً من مجموع الحركة والنضال الديمقراطي والاجتماعي في العالم العربي , ومدخلاً اساسياً لأي انفتاح أو تحول سياسي .

إن شعباً يضطهد شعباً آخر لايمكن ان يكون حراً , وإنما يصنع اصفاده بنفسه (ماركس) . لينين بدوره كان كثيراً ما يكرر هذا القول الذي لايزال يحتفظ بحيوية وقوة لانهائية على صعيد واقعنا المشخص, وعلى طريق ايجاد اسس جديدة وبديلة للعلاقات بين القوميتين . وهو سبيل الاعتراف بالمساواة ورفض سائر الامتيازات وتحديداً امتيازات القومية السائدة. وهو بهذا المعنى يشير بوضوح الى الموقف الذي ينبغي أن يتخذه المثقف العربي وبحزم ازاء القضية الكردية، إنه المبدأ الوحيد المقبول – بهذا المعنى – حالياً, الذي يعبر أخيراً عن امكانية الحفاظ على حياة مشتركة وتاريخ مشترك في عالم مقبل خالٍ من المدنيات الصدامية من كل طراز, التي ينبغي ان تختفي في زوايا النسيان وبحيث نطمئن تماماً عدم ظهورها ثانية على مسرح مستقبلنا الذي سيكون تحت اشرافنا ورعايتنا.

إذ ذالك سوف نرث كل الثقافات و التواريخ التي احدثناها نحن ورثة صلاح الدين بحق – كرداً وعرباً– بحيث نكون جميعاً وارثين لمحمد بن عبدالله ولزرادشت, كما سنرث غيلان الدمشقي و الحلاج وأحمد خاني و ملاجزيري. وكما هم –العرب – ورثة المتنبي والمعري والسهروردي فإنهم سيرثون الحريري و(فقيه طيران) و(هزار وبيكس) و(جكرخوين) كما هم ورثة (فهد) و(يوسف سليمان)و(مهدي عامل) و(يوسف العظيمة) من قبل ...[2].

★ ★ ★

الحوار العربي – الكردي موضوع ذاته . هو عنوان لمحاور عديدة واختلاف للسائد والمألوف . استنطاق للخطاب السياسي – الثقافي ، وحوار ضمن مستويات عديدة متداخلة . بحيث ينشأ وينتظم حوار هو حديث ذاته . إنه فض للمقال وكشف للمحاور السياسية التي تنتظم ضمن بنية هذا الخطاب على صيغة تساؤلات تنطوي على مشروعية ومصداقية معرفية وتأريخية تستمدها من موضوعه الحيوي والهام ، الذي هو الحوار العربي الكردي . في البدأ كان السؤال الاول مع هادي العلوي .

★ سربست نبي :- القضية القومية للشعب الكردستاني تعيش في (اوقيانوس)من الانظمة والاتجاهات القومية الشوفينية والرجعية ؛ المثقف العربي التقدمي والديمقراطي ؛ ومن وجهة نظر الافكار والمبادئ الانسانية والاخلاقية الاساسية ، كيف تقيمون موقفه راهناً وتحددونه مستقبلا بإزاء هذه القضية ؟.

---

[2] عن ارنولد توينبي بتصرف كبير.

★ **هادي العلوي**[3]:- حقاً هي تعيش في اوقيانوس من الانظمة والاتجاهات القومية الشوفينية والرجعية .. العربية التركية والفارسية . وهذا ما يتذرع به بعض القادة القوميين للاكراد ولاسيما في العراق للدخول في صفقات او تحالفات او اصطفافات بعيدة عن تحقيق مطالب الامة الكردية . وتحويل هذه القضية الشريفة الى سوق دولية يعمل فيها قادة القوميين الكرد في العراق وايران . لكنها من وجهة جماهير الامة الكردية ليست اقيانوس (باليوناني)ولا محيط بالعربي ، بل هي ساحة نضال تشكل في اول المطاف وآخره محور السيرورة التأريخية لهذه الامة الثائرة وتذهب حسابات — اوقيانوسيين والدوليين في جيوبهم ضمن عمليات التسمين التي يجريها الخارج دوماً للقيادات الاقطاعية القائمة في منطقتنا على اختلاف مسمياتها ومنظماتها من دون ان تنال شيئاً من هذه الساحة الملتهبة دوما بصراع والتي تمتلك وقودها الخاص بها ، الذي لاتستطيع جميع وسائل الاطفاء خارجية وداخلية منعه من الاشتعال .

اما المثقف العربي الذي تسمونه التقدمي والديمقراطي ، وهذه تسميات لم تعد تنطوي على معنى كما كانت في الخمسينات والستينات ، فامره مختلف . ان معظم مثقفي الحزب الشيوعي العراقي من الحزبيين او الاصدقاء أقروا نظريا بحق تقرير المصير للشعب الكردي في كردستان العراق . لكنهم يقفون امام كابحين .. الاول هو الاقليمية العراقية التي تجعل هؤلاء المثقفين ينظرون الى كردستان بوصفها مقاطعة عراقية . مما يحول شعار تقرير المصير الى تكتيك سياسي بلا مضمون ، الثاني هو الشوفينية العربية التي تجعل المثقف عراقياً ام عربياً ينظر الى كردستان العراق بوصفها جزءاً من العالم العربي وهؤلاء حين يتكلمون عن حق تقرير المصير.ينطلقون من هذا الاعتبار وكأنه حق تقرير المصير لمقاطعة عربية تشكل جزءاً لايتجزأ من خارطة الوطن العربي . وعلى هذا الاساس يتم تفريغ المبدأ من مضمونه الفعلي والقانوني.

ان اكثرية المثقفين العرب من غير العراقيين لايزالون يعتبرون الاكراد في العراق (اقلية قومية) وتصل الوقاحة ببعضهم الى استعمال اسم الجيب الكردي !! بينما هذا الذي يسمونه جيب هو اقليم متمايز واسع الارجاء تزيد مساحته على مساحة مستعمرات الخليج (العربية) كلها . وينبغي الا نعطي كبير اهتمام لنوازع هؤلاء ومواقفهم وامزجتهم . فهؤلاء المثقفون لم يعودوا يتمتعون بتلك المكانة التي كانت لهم في الخمسينات والستينات . وقد حول معظمهم الى صفاعنة[4] للانظمة ومؤسساتها الثقافية والتعليمية ، ومرتزقة للصحافة النفطية التي تديرها المخابرات الامريكية من وراء ستار بعد ان تعطيها شتى المسميات وتلونها بشتى الاصباغ. والشعب الكردي لايضيه ان يسمع من صفعان تصغيراً لشأنه او تحجيما لقضيته لان مسلح كردي واحد يتمترس في قمة جبل بامكانه ان يشطب بجولة واحدة جميع ما يخطونه من سحر الكلمات المنقوعة في الجهل او المعمدة بالبتر ودولار .

★ **سربست نبي** :- ان شبه الصمت الذي التزمه (البعض)من الماركسيين واليسار العربي بشأن القضية الكردية ومحنة الشعب الكردي الاخيرة ، ينظر اليه يوما ما على انه اكثر المحذوفات التاريخية واكبر التضليلات السياسية تخريبا وتزويرا للتأريخ السياسي للشرق الاوسط . فضلا عن ان هؤلاء الماركسيين كانوا يتصرفون غالبا بإزائها كأشتراكيين قوميين. ومثلت جرائم (حلبجة والانفال 1988) كلمة السر التي فضحت اممية هؤلاء في الوقت الذي كشفت عن القشرة الفارغة لشعار الاخوة العربية الكردية ، مثلما تفضح اليوم اولئك الذين لم يستطيعوا ان يتعلموا شيئاً من التأريخ القريب لمحنة الشعب الكردي ، السؤال على ضوء المتغيرات والمعطيات الراهنة ؛ كيف تنظرون الى طبيعة العلاقة المستقبلية العربية الكردية ، وما هي الاسس والبدائل المطروحة في نظركم..؟

---

[3] يعتمد الاستاذ هادي العلوي في كتاباته النحو الساكن ضمن اتجاهه نحو تقليص الهوة بين لغة الكلام والكتابة في العربية. لذا اقتضى التنويه.

[4] صفاعنة بكسر العين ، كلمة اطلقت في العصر العباسي على مثقفي السلطة والعاملين في بلاط الخليفة وهي ماخوذة من فعل صفع اي ضرب على قفاه.

★ **هادي العلوي** :- العلاقة العربية الكردية محكومة بالتأريخ المشترك للامتين ومرتبطة بالجذر الحضاري الذي يوحد العرب والاكراد منذ خمسة عشر قرن . والسياسة السائدة لا تبدأ من هذه الحقيقة بحكم الجهل السائد بين السياسيين من اكراد وعرب . لاسيما الجهل بالتأريخ الذي لاتزيد معلومات قادتنا فيه عما درسوه في المدارس التي اسسها ساطع الحصري واستمرت تمشي على نهج التجهيل هذا حتى اليوم . وهم اذا اتيح لهم (وقت الفراغ)بزيادة معلوماتهم توجهوا الى المستشرقين ليزيدوا الجهل جهلا وليحولوه من جهل بسيط الى جهل مركب .

وينبغي على اي حال ان لا نظلم بعض الرواد **من الماركسيين العراقيين وبينهم عرب خلص خدموا القضية الكردية بروح امية راسخة . وآمل ان تتذكروا القائد الشيوعي الكبير زكي خيري من هذه القضية والتي تطورت الى حد تشجيع الاكراد على الانفصال وتكوين دولتهم المستقلة كما هو موضح في كتاباته وآخرها رسالته التأريخية التي شرفني بتوجيهها لي ، ونشرتها في مجلة فتح في العام المنصرف**[5].

ان العلاقة بين العرب والاكراد لاتخضع لمعافسات[6] السياسة اليومية لان عمقها التأريخي يحضها ضد الانتهاك اليومي الذي يقع من كلا الطرفين . ومع ذلك فهي قد تتضرر فعلا باتجاهين سائدين لدى الطرفين على السواء فيما يحض العراق: الطرف العربي المتمثل بالنظام المتوحش القائم ببغداد والذي يكن للاكراد حقدا عنصريا يزيد على حقده ضد مجموع الشعب العراقي وذلك بحكم الجوهر الشوفيني (العصا بجلي)لهذا النظام الطارئ على تاريخ العراق .ثم الطرف الكردي الذي يروج لاطروحات ذات مضمون صهيوني ويسعى لاقتطاع كردستان ليس من العراق ، فهذا امر مشروع ، بل من الشرق الاوسط ، واعداً الاعداء الغربيين باقامة كيان غريب على غرار الكيان الاسرائيلي ، ولحسن الحظ ان هذين الفريقين يشكلان اقلية حتى في حسابات الحركات السياسية بتشوهاتها الراهنة . وتبقى اطروحاتها وسياساتها محصورة في نطاق ضيق غير قابل للاتساع الا في ظروف خاصة جدا وطارئة .

أنا مطمئن الى مستقبل العلاقات العربية الكردية اطمئناناً استمده من العمق التاريخي الذي اعرفه جيداً. ومن المضمون الموحد للبيئة الاجتماعية والحضارية للامتين مع الاشتراك في التقاليد الاجتماعية, المحمود منها والمذموم.. فنحن العرب والاكراد متماثلون حتى في عيوبنا ومخازينا الى جانب قيمنا الحية وتقاليدنا النبيلة.

فيما يخص الموقف الآني من جريمتي حلبجة وخورمال, أصابيع الادانة تتوجه إلى المثقفين والسياسيين العرب من غير العراقيين ويشمل ذلك المثقفين الفلسطينيين والمنظمات الفلسطينية اليسارية. والمعروف ان الكثيرين من قيادات هذه المنظمات تعمل من خلال علاقات مختلفة ومتفاوتة المستويات مع الانظمة الحاكمة مما يجعلها تسلك سبيل المجارات والصمت في كثير من الاحيان عما يجب ان يقال بشأن جرائم النظام العراقي ضد جماهير شعبه العربي فضلاً عن القوميات الاخرى.

- سربست :- أؤيدك في القول: ان مسألة حلبجة فضحت أمية الكثيرين من القادة اليساريين وفي هذه عبرة لهم تدعوهم الى تدارك هذه المواقف الخاطئة. إن اليسار الفلسطيني يتمتع باممية صافية فيما يخص خارج العالم العربي, وأعني العلاقات مع شعوب العالم الثالث المناضلة, وشعوب المعكسر الاشتراكي السابق, لكنهم يقعون في التباسات مشينة فيما يخص القضيتين القوميتين الكبيرتين وهما قضية الاكراد والبربر **ليس** هذا فحسب, بل كان هناك تواطؤ وتحريض مع مضطهدي الاكراد.
- **هادي العلوي:** نعم كما تقول ان أبو اياد المقتول في تونس, قد سلم السلطات التركية جميع مخططات واسماء مناضلي جيش التحرير الارمني وتعاون مع المخابرات التركية وغيرها من المخابرات المعادية ضد جميع قضايا التحرير القومي

---

[5] توثيقاً للافكار والاراء التي تخدم القضية الكردية – ننشر مقالة الاستاذ (زكي خيري) في آخر هذا الكتاب - دارحمدي

[6] وتعني اللاانتظام والصخب والفوضى ، العنجهية

للارمن والاكراد والايرانيين ، وكان هذا في الحقيقة هو موقف قيادة منظمة التحرير بكاملها مستثنيا الشهيد ابو جهاد .

- سربست نبي : لقد نصب الكثير من السياسيين والمثقفين العرب من مبدأ (الوحدة العربية)حكما وحيدا على كل ما يتعلق بمسألة القوميات في العالم العربي ، وبضمنها المسألة الكردية . ويتعين في نظر هؤلاء اولا انشاء دولة قومية عربية موحدة او مجتمع اشتراكي عربي من نوع ما ، وعلى القوميات ان تنتظر ذلك ، حينها فقد يمكن الحديث عن الحل العادل والمثالي لمسائل القوميات والمسألة الكردية ضمن اطار الكيان المنشود ذاك . انتم كيف تنظرون لهذه المسألة ، وما هو تقييمكم لوجهة النظر تلك ؟

- هادي العلوي: ان شعار الوحدة العربية شديد الالتباس . وفي الغالب يتم تسويقه سياسيا من البرجوازيات القومية التي ما ان تصل الى سلطة حتى تخون هذا الشعار وتدوسه بجزمات جنودها وشرطتها . والوحدويون لايكفون مع ذلك عن توظيف الشعار لابتزاز خصومهم السياسيين فضلا عن ابتزاز القومية الكردية . وانا بالمناسبة اصحح عبارتكم (مسألة القوميات في العالم العربي)فهناك فقط قوميتان كبيرتان يصرف عليهما هذا الوصف وهما القومية الكردية في العراق والقومية البربرية (الامازيغ) في دول المغرب العربي. وينبغي اعطاء حق تقرير المصير للقوميتين لان كل منهما يتشكل في أمة واحدة كبيرة العدد, موحدة الاقليم, بحيث لايصدق عليها وصف (اقلية قومية).

لاعلاقة للقضية الكردية بموضوع الوحدة العربية حتى لوطرح هذا الشعار طرحاً صحيحاً كما حصل في كتابات مؤسس **الحزب الشيوعي العراقي (يوسف سلمان – فهد) وفي برنامج الحزب الوطني الديمقراطي بزعامة كامل الجادجري . اقول" لاعلاقة لهذه بذاك لان كردستان ليست ارض عربية. ويجب عزل قضيتها عن قضايا العرب القومية لانها قضايا تمس أمتين لا أمة واحدة. كما ينبغي التحذير من الطرح القائل بان بناء مجتمع اشتراكي في العالم العربي او في العراق وحده يحل القضية الكردية تلقائياً, فهذا يشبه طرح الشيوعيين الفرنسيين الذين عارضوا استقلال الجزائر لان فرنسا ستصبح اشتراكية وتبعاً لذلك ستكون الجزائر مقاطعة فرنسية يسودها القانون الاشتراكي الفرنسي. هذه شوفينية قومية تتكلم بلسان كارل ماركس الذي اعطى الحقوق للقوميات وقضايا الاستقلال وتقرير المصير بقدرما اعطى للنضال الطبقي وحقوق الطبقة العاملة.**

- سربست نبي: يجدر بالذكر هنا ان شخصية شيوعية قائدة من طراز خالد بكداش عبر مؤخراً في احاديثه المشهورة مع الصحفي (عماد نداف) ، عن وجهة نظر مماثلة, حيث اشار على ممثلي القومية الكردية بالنصح قائلاً:الان يجب الاكتفاء بالحكم الذاتي الحقيقي ضمن الحدود الدولية, وفي المستقبل, حسب ما تتطور الامور, وعندما تنتصر الاشتراكية في المنطقة يمكنكم اذا اتفقتم ان تؤلفوا في هذه المناطق دولة كردستان ... [7]؟.

- هادي العلوي : ان نصيحة القائد الشيوعي الكبير خالد بكداش للاكراد حول حقوقهم القومية, وفيما يخص المسألة الكردستانية (العراق,ايران, تركيا) غير صحيحة اطلاقاً. وهي لاتختلف عن موقف الشيوعيين الفرنسيين, اعني انها شكل من الابتزاز القومي مغلف بالماركسية. وانا بالطبع لاأعتقد ان مناضلاً كبيراً مثل خالد بكداش يعبر عن شوفينية بمستوى الشوفينية الفرنسية المعروفة. لكن هذا من سوء تقدير.

- سربست نبي: لم يعد سراً ان النظام الديكتاتوري المتسلط على رقاب الشعب العراقي في الوسط والجنوب, قد فقد سيطرته على جزء هام من كردستان و جرت هناك انتخابات في 19 مايو 1992 تمخض عنها مجلس وطني اقليمي كردستاني اعلن عن مبداء (الفدرالية) بديلاً عن مطلب (الحكم الذاتي). ويمكن القول؛ ان كردستان اصبح يتقاسمها اليوم نفوذ حزبي (الكاك و المام). ماهو تقييمكم للوضع هناك, وكيف تنظرون الى مستقبل الفدرالية.

---

[7] أنظر عماد نداف, خالد بكداش يتحدث, ديمشق دار الطليعة 1993 ص 89.

- **هادي العلوي:** أؤيد الفدرالية كمحطة نحو الاستقلال. وقد ثبت الحزب الشيوعي العراقي في برنامجه الجديد مبدأ (**جمهورية كردستان ضمن الجمهورية العراقية**) , وهو موقف صحيح ... يجب ان يكون للاكراد هويتهم وجنسيتهم وجواز سفرهم .... اما مايجري على ارض الواقع فيتنازعهم أمران: الاول ان الشعب الكردي يمارس لاول مرة حكم نفسه بنفسه بعيداً عن تحكم الطغمة الحاكمة في بغداد. والثاني ان كردستان تقع حالياً ضمن منظومة حلف الاطلسي هي محمية امريكية, وانا لهذا السبب رفضت الدعوات التي وجهت الي لزيارة كردستان او الاقامة فيها, لانني لا اقيم في بلد يحميه الامريكان. يضاف الى ذلك ماقلتم انتم من ان كردستان اصبح يتقاسمها اليوم نفوذ حزبي (الكاك والمام) وهما حزبان قوميان مرتبطان بالخارج. لكن البرزانيين يبقون هم الاقرب الى روح الشعب الكردي بوصفهم القادة التاريخيين لثورته القومية. ولست يائس تماماً من امكان اصلاح الحزب الديمقراطي الكردستاني ليصبح حزباً وطنياً مرتبطاً بكردستان ومحيطها الشرق اوسطي. ومكانتها كجزء من تاريخ الحضارة الاسلامية وليس الحضارة الاوروبية. وآمل ان يتعزز الجناح الوطني في هذا الحزب ليفرض اطروحاته على القيادة. وانا اجد في مثقفين وطنيين شرفاء من امثال؛ (فلك الدين الكاكائي) مايدعوني الى التفاؤل بامكان تطور خط الحزب وتصحيح سياسته الحالية.
- سربست نبي: هناك من يقول : ان اقامة (جيب كردي) في شمال عراق تعني تعزيز امال الاكراد باقامة دولة كردية تضم الاكراد المنتشرين في الدول (الأوقيانوس) وهذا الامر من شأنه يزعزع استقرار هذه الدول, وانه ينطوي على مخاطر مروعة ليس اقلها اعادة النظر في خارطة منطقة الشرق الاوسط. وهل من الصحيح القول؛ ان دولة الفيدرالية (الكردي) هي مثل دولة اسرائيل في فلسطين...؟...
- **هادي العلوي: ليتزعزع الاستقرار لانه ليس في صالحنا ان تبقى الامور مستقرة. كان (ماوتسي. تونغ) قبل ان يخرف**؛ يردد هذه اللازمة (الاضطراب يعم الدنيا و الوضع جياش). ان اقامة دولة كردية ستساهم في تشديد الاضطراب عند هذه الدولة بقيادة حزب كحزب العمال الكردستاني p.k.k وتجعل من مياه الشرق الاوسط و براريها مواقد متفجرة تذكرهم بتسجير البحار يوم القيامة. يومها سترى جبال كردستان فتحسبها هامدة وهي تمرمر السحاب تسحق الامبرياليين والعتاة المحليين ولا تترك لهم اثراً... و من المؤكد ان خارطة الشرق الاوسط سوف تتغير , عندئذ سيكون بقدورهم دول عربية متحررة ومتحالفة مع دولة كردستان الوطنية ان تحاصر اسرائيل وترغمها على الرحيل. وهكذا فدولة كردستان المنتظرة والتي سوف تتشكل خارج ارادة الغربيين ستكون عامل مساعد على إبادة هذا الكيان الغاصب الذي زرعه الامبرياليون الغربيون في فلسطين . اما القائلين بان دولة كردستان ستكون اسرائيل ثانية فهم الذين قالوا من قبل: ان طريق القدس يمر من (اهواز). وقد اراد هؤلاء ابتكار خطر يضعونه مقابل الخطر الصهيوني الامبريالي فاستعملوا الخطر الايراني و الخطر الكردي و لعلهم سيكتشفون غداً خطر صيني او خطر هندي او خطر بلوشي ما دام المطلوب منهم ابعاد العيون عن مدللة لاسيادهم الغربيين في فلسطين .

نعم لا بد لخارطة الشرق الاوسط من ان تتغير فتزول دولة اسرائيل وتظهر دولة كردستان. وهو الوضع الطبيعي للمنطقة التي تتبوأ الامة الكردية مكانة مرموقة فيها كأمة كبرى تستوطن بلادها الاصلية كردستان منذ الوف السنين. بينما يرحل الغرباء من صليبيي العصر الحاضر تاركين فلسطين لسكانها الاصليين من العرب و اليهود. و عندها فقط سيستعيد الشرق الاوسط جغرافيته الطبيعية التي تلاعب بها الامبرياليون الغربيون.

دمشق 1994/5/16

أصل الأكراد والايديولوجيا القومية*

بقلم/ هادي العلوي

الاكراد شعب مثل بقية الشعوب لهم أصل يرجعون اليه واقليم بقطنونه وعناصر قبلية يتكونون منها. والبحث في هذا كله هو من اختصاص الباحثين في التاريخ والانتروبولوجيا والانساب وفي فروع علمية تقوم على التخصص واتفاق اصول البحث بما يضمن للمتخصص مستوى علميا عقد لدراسته وينأى به عن لغة السياسة والصحافة وبلاغة الانشاء .فللعلم متطلباته خارج هذه الميادين .

وفي اتون الصراع الذي يخوضه الاكراد لاثبات هويتهم القومية والوصول الى انشاء كيانهم السياسي المنشود ، تدخل الايديولوجية القومية كعنصر تسييس للاختصاص العلمي فتؤدي الى المزيد من التشويش على الوعي وارتكاب المزيد من التزويرات التي يتحملها التاريخ من اطراف الصراع .

بعض القوميين الاكراد وبحكم ايديولوجيتهم القومية (ولا باس ان نبدأ عملنا بنقد الضحية) يتشبثون بخرافة العرق الآري التي روجتها الايدلوجيا الرأسمالية في الغرب ، ويذهبون منه الى طموح الاتحاد باوربا والانخلاع من جغرافيتهم . واوربا التي تريدهم لاغراضها القديمة الحديثة تحقن فيهم هذا الطموح لتدفعهم اكثر فاكثر نحو الخروج من الشرق الاوسطى والارتماء في خارطة اوربا السياسية . وهي من جهتها ، اعني اوربا تعرف ان انخلاع الكرد من كردستان، الشرق اوسطية غير ميسورة ، فهم ابناؤها منذ الفي سنة على الاقل . وبناء على معرفتها هذه سوف يستحيل عليها ان تمضي معهم في طموحهم الاخير لانشاء دولة مادمت تدرك ان الدولة الكردية لن تكون بمثابة اسرائيل ثانية . فهي ستنشأ على ارضها وتتشكل من اهاليها انفسهم وهم الاكراد ابناء كردستان الواقعة في الشرق الاوسط وحتى لو استطاعت اوربا ان تصنع لها في كردستان توابع من مستوى (انور سادات) او (آل سعود) او (دنغ سيلوبنغ). فهذا ليس صناعا كافيا مادامت ستكون عاجزة عن تغيير هوية كردستان كما افلحت في تغيير هوية فلسطين .

على ان اخطاء الضحية لاتقاس باخطاء الجلاد . فبسبب خوفهم من الاكراد ينكر القوميون الاتراك وجود جذر لغوي يتألف من الكاف والراء والدال . ولكي يتخلصوا من تحدي اللغة كشاهد مضاد لسعوا لمحقها من الالسن فاصدر (كمال اتاترك) عام 1924 قرارا بتحريم استعمال اللغة الكردية على اهلها. ولم يتخلص من زوائد الحس القومي ليسار الترك الذي وان اعترف بوجود هذا الجذر في قاموسهم ، فهو ينكر عليه حق التمايز وما يترتب عليه من حق تقرير المصير . ويتعامل اليساري التركي مع هذه القضية على اساس حسابي خالص فهو يقول ان الاكراد يشكلون ربع سكان تركيا وانفصالهم عنها يفرض الكيان لتقلص خطر في هيكله العظمي . ولم يطرح اصحاب هذا القول سؤالا مشروعا ان كان الكرد مسؤولين عن قيام هذا الكيان بإبتلاع اقاليم آهلة باهلهاوشله ومن ثم هضمها لانها ليست من عنصره البدني .

في ايران ينكر الاسلاميون على الاكراد حقوقهم القومية لان الاسلام عندهم لايعترف بالقوميات . وقد استفادوا من تجانس القومية بالمعنى الاثني مع القومية بالمعنى المذهبي ليخلطوا ماهو ايديولوجي بما هو وجودي فانكروا الاثنين, والاسلام لا يعترف بالتعصب القومي ولكنه لايعرف القوميات لان هذه الاخيرة لم تكن واضحة الحدود في زمانه على انه لم يحمل هما قوميا معينا على رغم انطلاقه من منشأ عربي, فلذلك لم يتجه لفرض العرب على غيرهم وانما تعلم المسلمون من غير العرب اللغة العربية لاداء شعائر وقراءة القران . ويقع اسلاميو ايران مع ذلك في مفارقة حين ينكرون الحلول القومية ويصرون في نفس الوقت على استعمال اللغة الفارسية كلغة رسمية في بلاد الاكراد . ان انكار الاسلام للقوميات

* هذه المقالة محفوظة في الارشيف المركزي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني(فتح) واعيد نشرها .

ينسحب على الفارسي كما على الكردي, واللغة الفارسية لا تدخل في احكام الشريعة, والاتجاه بفرضها على الاكراد هو تعصب قومي وليس حكما شرعياً .

ان النزعة القومية تتمظهر من وراء شتى الايديولوجيات التي غالبا ما تستخدم كغطاء للعدوان القومي .

سمع العرب بالاكراد منذ الجاهلية ووصلت بطون قبائلهم الى بقاع كردية فاستوطنتها ثم حدث الاخطلاط الكبير بعد الفتح الاسلامي واسلمت كردستان جميعها وحين بدأ العرب يفكرون تساءل مؤلفوهم عن اصل الاكراد فوضعوا بعض الفرضيات المستقاة بالرواية عن مصادر فارسية وكردية في المقام الاول . وهي فرضيات غير علمية ولم يثقها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون وانما اوردوها كروايات ومن باب هؤلاء, الجغرافيون والمؤرخون اذا اعوزهم الاطلاع المباشر ان يأخذوا بالسماع ولكن من دون ان يقطعوا به ، وفي التارخة الاسلامية تفريق متفق عليه بين قطعية الدراية وظنية الرواية (قالوا : الدراية تفيد ما لا تفيده الرواية). ومن هذه الروايات ما يحمل مرتكسات عرقية عندما تؤخذ من دون معرفة مصادرها. اقصد بذلك المزاعم التي اوردها المسعودي في الجزء الاول من مروج الذهب عن اصول عربية للاكراد وقد نسبهم في رواية (كرد بن عامر) الذي هاجر من اليمن الى بلاد الشام في القرن الثالث للميلاد . وفي رواية اخرى الى (كرد بن مرد صعصعة بن حرب بن هوازم) وفي ثالثة الى (سبيع بن هوازم) والاخيرتان نقلهما المسعودي شفاها عن (قوم من متأخري الاكراد)ولم يوافقهم على هذا الادعاء لان كلا من (حرب) و(سبيع بن هوازن) لم يكن لهما نسل عند نسابي مضر والمسعودي رجل علم وما يرويه يجري على النهج الذي ذكرناه وقد تكلم عن الامم والمذاهب والاديان باسلوب الباحث عن الحقيقة فلم يخلط حديثه برائحة انحياز لامة او دين واخطاؤه هي اخطاء المنهج القديم في البحث .

ويلاحظ ادعاء بعض الاكراد بالاصل العربي كما في رواية المسعودي هذه وقد نقل ما يماثله المؤرخ العراقي المعاصر (عباس العزاوي) اذ يقول في (عشائر العراق):- اننا لانزال نسمع من رؤساء الكرد خاصة انهم ينتمون الى (اصل)عربي ، والدافع الى هذه الادعاءات قديما شعور الكرد بتفوق العرب عليهم في الحضارة وكونهم (رهط نبي الاسلام) اما الادعاءات الجارية فمرجعها الى كون العرب في العراق هم القومية السائدة والحاكمة ولذلك تاتي هذه الاخيرة بالخصوص من الرؤساء الذين يجدون مصلحتهم في ارضاء الجهة التي تحكم بلادهم . **ومعروف ان الاستعداد للتنازل عن الهوية القومية للغالب يكون شديدا لدى الفئات والطبقات العليا من اية امة** .

حاول بعض القوميين العرب في العراق الاستفادة من اقوال المسعودي في سياستهم لصهر الاكراد وانكار حقوقهم القومية وفي ايام حكمه القصيرة كان عبد السلام عارف يردد اسم (كرد بن عامر) بصفته الجد العربي للاكراد كما ورد في احدى روايات مروج الذهب . وبالطبع عبد السلام لم يقرأ مروج الذهب وانما زوده بالمعلومات عنه بعض القارئين من موظفي الجهاز الاداري والتعليمي . وقد بدت هذه كمهزلة لم تقنع من القوميين الذين كانوا يؤيدون عبد السلام ولذلك سرعان ما سحبت من التداول .

على ان المسعى لتعريب الاكراد استمر عبر الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق . وقد اخذ في العهد الحالي زخما جديدا تمثل في حملات الابادة بالاسلحة الكيمياوية وافراغ القرى من سكانها لمثلها بسكان عرب جيء بهم من وسط وجنوب العراق وفي هذا المجرى التفت الاعلام الرسمي لاهمية الروايات المتعلقة بالاصل العربي للاكراد . واحدث ما انتجه هذا الاعلام تقرير وزعته المخابرات العراقية ونشرته بعض الصحف المزعومة محليا من النظام العراقي . والتقرير بعنوان (**هذه القبائل الكردية اصلها عربي**) وهو يحتوي على تفاصيل واقعية وهامة عن القبائل او العشائر او البطون العربية التي استوطنت كردستان . ويبدو ان كاتبه باحث متخصص, في العراق يُرغم المتخصصون على توظيف معلوماتهم لاغراض الاعلام ومن المعتاد ان يكتبوا البحث تحت التهديد او الاغراء ويتسلمه الجهاز المعني فيعيد صياغته بالاسلوب الاعلامي المناسب وهو ما يبدو انه جرى للتقرير المذكور . وقد اعتمد كاتبه على مصادر اساسية ولو انه لم يكن امينا في

نقله عنها . افترض ان هذا من فعل الجهاز وليس الكاتب . كما انه توسع في ارجاع الاسماء الكردية الى اصل عربي على طريقة (**الربط بين شكسبير والشيخ زبير**) .

سنأخذ امثلة من التقرير ونختبرها بالرجوع الى (عباس العزاوي) وقد اشرنا الى كتاب هذا المؤرخ المرموق عن عشائر العراق وهو في جزءين : الاول عشائر العراق العربية والثاني عن الكردية واعتمادنا هنا سيكون على الجزء الثاني .

1- تحدث التقرير (تقرير المخابرات) عن قبيلة بجيلة (بفتح الباء) اليمانية وقال انها هجرت من اليمن والحجاز باكملها واستوطن قسم منها في ناحية الزيبار – عقرة من نواحي كردستان العراق . وحاول ايجاد اصالة بين هذه القبيلة اليمنية ومنها باجلان الكردية فقال : "هناك دلائل تشير الى ان قبيلة (باجلان) الكردية هي في الاصل من بجيلة العربية وقد تحرف اسمها الى بجيلان ثم باجلان وهو معنى البجيلين ، فالجمع بالاف والنون من اساليب العربية القديمة ".واستدرك عليه ان هذا الجمع شائع حتى اليوم في العربية الحديثة ، فيقال في العامية العراقية: حصران جمع حصير وجربان جمع جراب ولكن صيغة جمع البجيلان بعيدة جدا عن القياس لان الجمع بالاف والنون يتم بحذف حرف العلة وضم الحرف الاول الصحيح ولذا قالوا: حصران وجربان ولم يقولوا : حصيران وجرابان فلو كان النسبة الى البجيلة لقالوا بجلان بضم الجيم وحذف الياء .

اما عن القبيلة الكردية باجلان فينقل عباس العزاوي مايأتي : حكي لي بعض العالمين منهم انهم مغول جاءوا من جبال اورال ج2 / 184 ،ولاينبغي تصديقهم فالانتساب الى المغول ليس مما يشرف احدا في الشرق الاوسط الذي عانى من غزواتهم المدمرة وليس هناك مصلحة تدعو الى انتحال هذا النسب كما ينتحل النسب العربي .

2- عن قبيلة ديزه – طي: قال التقرير : ان اسمها محرف من طيء وفيما يأتي قول عباس العزاوي بشأنها:- هي إمارة (يعني في الاصل ليست قبيلة) ويقال ان اصلها (دزده طي) فتحرفت عنها وهذا ليس بصواب دائما ، واستطرد العزاوي فتكلم عن تواجد بطون من طيء في موقع الامارة قائلا : وكانت قبيلة طي هي صاحبة الكلمة في لواء اربيل الا ان قوة هذه الامارة وانضمام قبائل عديدة اليها جعل سلطتها تمتد الى الاطراف ومازالت في تقدم حتى زاحمت قبيلة طي فأزاحتها وتسلطت عن موطنها 2/ 144 – 145 ويبدو ان التداخل بين هذه الامارة – القبيلة وبين طي جعل البعض عن حسن او سوء نية يقارن بين الاسمين بارجاعهما الى اصل واحد .

3- عن قبيلة "زنكنة"قال التقرير: من القبائل العربية الرئيسية التي وجدت طريقها الى جبال العراق (كذا)بنو اسد . فقد انتقل فرع منهم الى المنطقة الممتدة بين كركوك والسليمانية حيث انشأوا القرى وعرفوا محليا ب"زنكنة" اشارة الى ثرائهم . ثم غلب الاسم عليهم واقاموا بيتا لهم في قرية (طالبان) فنسبوا اليها وعرفوا "بالطالبانية"، زنكنة بالكردي والفارسي تعني الغني ومنهم (الزنكين) للغني . والكلمة شائعة في عاميات العراق وبعض لهجات بلاد الشام مثل لهجة حمص ، يفهم من هذا الكلام ان السيد جلال الطالباني هو من بني اسد !!

مهما يكن فلنرجع الى عباس العزاوي لنرى ماذا يقول عن قبيلة زنكنة"...ويقال ان اصلهم من بني اسد ويعدون من اغنيائهم ولهذا عرفوا بهذا الاسم ولم نجد مايؤيد هذا القول ..."2/ 175 .

4- عن عشائر الجاف الكردية قال التقرير : "من القبائل العربية التي كان لها انتشار منذ صدر الاسلام منها قبيلة عنزة (بفتح العين والنون قديما وتسكين العين وكسر النون في الوقت الحاضر)وقد استوطنت بين الموصل واربيل في شمال العراق وتحالفت في عهود – يقصد عصور – تالية مع عشائر كردية وعربية بزعامة رؤساء علويين مؤلفين اتحاد عشائر الجاف بفروعه وبيوتاته العديدة ".

وحول عشائر الجاف يقول عباس العزاوي 2 / 29 :"لايعرف سبب التسمية والارجح انها منحوتة من "جوانرود" وهو اسم ايرانية و التي جاءوا منها"، فالاسم غير عربي كما قد يخيل لاول وهلة كإشتقاق من الجفاف اما الاصل فمن اكراد ايران .

ولم يتحدث العزاوي عن اصول عربية لعشائر الجاف هذه وانما ذكر ان رؤسائهم يدعون انهم سادة 2 / 31 . يعني علويين، وهذا الادعاء يفهم في ضوء ما سبق من دوافع انتحال الاصل العربي لبعض الاكراد . اما الانتساب الى العلويين فهو هاجس مشترك لجميع المسلمين لما يتيحه من مزايا وامتيازات لصاحبه . وقد يصدق وقد يكذب تبعا للنسابين المختصين بهذه الامور . واذا صح ادعاءرؤساء الجاف بذلك فينبغي اعتبارهم عندئذ غرباء عن عشائرهم لافتراقهم عنها في النسب .

هذه بعض المفارقات بينما ورد في التقرير وما نص عليه المؤرخ العزاوي تبين الفرق بين علم المخابرات وعلم المؤرخين في درجة الامانة العلمية . وقد تصدى العزاوي لاقوال مشابهة بشأن اصول قبائل كردية اخرى يبدو انها مما شاع بين الاكراد انفسهم . فذكر قبيلة الكردي (كاف فارسية) وانكر عما يقال عن نسبتها الى شمر 127/2 فبين ان القول بانهم من الشمر ليس له اصل يعول عليه 135/2 . وفي تحقيق علمي دقيق تحدث عن قبيلة (ساله يي) فذكر ما يقال من انهم اولاد (صالح بن جميل)تحرف اسمهم الى ساله يي . وغلب عليه بان هذه القبيلة لاتعرف اليوم ما يشير الى اصلها وان المشهور انهم (صوالح) لم نعثر على ما يؤيد 159/2 وفي هامش الصفحة احال عزاوى على طائفة من الشيعة تسمى (الصالحية)ورجح ان يكون منهم وهذه طائفة وليست قبيلة . والاكراد كغيرهم من المسلمين موزعون الى طوائف وفرق شتى و انتماء بعضهم الى طوائف مشتركة مع بعض العرب لا يعني تعربهم .

وفي سياق منهجه العلمي قال العزاوي بعدما تحدث عن اصل الاكراد :- ونحن لانقول اكثر من انهم شعب مستقل عن الشعوب الاخرى متاثرة بالمجاورين من العرب وايرانيين ولا ينكر انهم اختلط بهم بعض العرب وعاشوا معهم وصاروا لايفترقون عنهم بوجه وانهم لايزالون يحفظون انسابهم كما ان الكثير من الكرد عاشوا مع العرب والان لا يخرجون عنهم 23/2 . وفي استقصاء للعشائر الكردية ذكر العزاوي عشيرة من محافظة الديوانية (العراق الاوسط) اصلهم من الكرد ويسمون (عشيرة الكرد) وقال انهم يرجعون الى (شيخ بزيني)و(الهماوند) و (ديزه يي) . ونخوتهم عجم ، النخوة عند القبائل العربية في العراق في الشنغار – ويبلغون نحو الف بيت ورئيسهم (الحاج مشعان آل الحاج) و (مشعان اسم شائع في الريف الغربي العراقي) وفرقهم : البوشهيب، آل عمران، لاعرجان، البودريعي، البومونس، المطخ الجريبة، البوعنكود (عنقود) البوصفر، البوهندول، آل بشير، البومجول(سكون الجيم) اليدموسى، البوغيد السيد، البوخنياب (خنياب في لهجة العراق العربية تقال للماء عند ارتفاع منسوبه)البوشاوي ....وختم الحديث عنها بقوله : ليس في هذه القبيلة من يعرف اللغة الكردية ولا يتكلم بغير العربية. 187/2- 188 .

عنونت المخابرات العراقية تقريرها بعبارات لم تفهم مغزاها . قالت : "هذه القبائل الكردية اصلها عربي" ثم اردفت : "نسيان ابناء القبائل العربية لانسابها ادى الى فقدانها الاحساس القومي ". وقد بنى التقرير على هذا الاساس تماما. ولا شك في ان كاتبه، وهو كما رجحت باحث مغلوب على امره، وقد استقر مابيده من المصادر فرأى بطون وعشائر من قبائل عربية قد وصلت بالفعل الى كردستان في احيان متفاوتة يمتد بعضها الى الجاهلية. وان هذه الجماعات العربية انقطعت عن بيئاتها في العربية او العراق او الشام نظراً لاستقرارها في بيئة غير عربية. مع مضي الوقت اكتسبت هذه الجماعات خصائص المهجر واخذت تنسى خصائصها القومية الاولى. ووصل ذلك الى اللغة فنسيتها واخذت تنطق بالكردية .

-وكانت بعض الجماعات لا تزال ناطقة بالعربية حتى القرن التاسع عشر، ولعلها من البطون التي هاجرت في وقت متأخر. اما الان فلا يوجد في اي جزء من كردستان الاصلية ناطق بغير الكردية.

ان ما حدث للعشائر العربية في كردستان هو نفس ما حدث للعشيرة الكردية التي استوطنت بلدة الديوانية في العراق الاوسط فنسيت تقاليدها ولغتها وتعربت تماما بحيث اختفى اي اثر يدل على اصلها الكردي.

وهكذا نعود من اساسيات التقرير ومباحث العزاوي الى الحقيقة المشتركة في اي كيان قومي وهي ان القومية ليست رابطة قربى وانما اتحاد اجتماعي لمجموعات من دماء شتى تلتم في بيئة معينة وتتعايش بوسائل مشتركة ضمن قيم واوضاع ثقافية واحدة.وتتشكل من تبلور هذا الكيان حالة سائدة تتميز بالقدرة على هضم الطارئ وتابيضه في الكيان. وقد احتوى التقرير على حقائق مدهشة في هذا الصدد وفي ما يأتي جملة منها مقتبسة بنصها من التقرير.

- عن قبائل طي قال التقرير :"ان وجود التضاريس الجبلية لم يكن حاجزاً إزاء (يقصد دون)انتشار(طي) واستيطانها في تلك المناطق (اي كردستان) على انها كانت حاجزاً اعاق استمرار صلاتها بغير من قبائل العرب مما ادى الى انقطاعها هناك ومن ثم فقدانها لغتها ونسبتها العربية".
- وعن قبائل (قحطانية)اخرى جاء في التقرير، سكنت بعض عشائرهم في نواحي (دهوك) ونتيجة لتأثرهم ببيئتهم الجديدة وابتعادهم عن مواطنهم الاول عدواً اكراداً.....
- وعن قبائل عنزة المار ذكرها : استوطنت بين الموصل واربيل وتحالفت في عهود تالية مع عشائر كردية لتتحول بالتدريج الى ما يشبه تلك العشائر في لغتها ومظهرها.
- ويختم التقرير حديثه عن استكراد القبائل العربية- بهذه العبارة: ان نسيان الاجيال التالية من ابناء هذه القبائل انسابها التي تصلها باصولها وتفرقها في قرى المناطق الجديدة ادى الى فقدانها التدريجي للاحساس بتميزها القومي حتى باتت تتأثر بمحيطها لغة ومظهراً.
- سؤال واحد هام لم تطرحه المخابرات العراقية على قرائها وهو: لماذا ادى استيطان القبائل العربية في كردستان الى استكرادها وليس الى تعريب كردستان؟ ان طرح السؤال كان سيؤدي الى نسف الغرض الذي توخته من نشر التقرير وهو تأكيد عروبة الاكراد. وفي واقع الحال انها قدمت الوقائع الملموسة الدالة على رسوخ الحالة السائدة في اقليم كردستان وهي (الكرودة).
- ولاشك في ان الباحث الذي ارغم على كتابة هذا التقرير لم يستطع تجاوز هذه الحقائق وهو يستقرئ مصادره بعناية ملحوظة تدل على حديثه كباحث. ولم ينل من هذه الجدية تلاعب قلم المخابرات في التقرير لتقريبه الى الغرض المتوخي منه. فالمادة الاساسية بقيت فيه على حالها اذ لم يكن في الامكان الاخلال بها من دون الاخلال بموضوع التقرير من اصله.

على ان موزعي التقرير اعتبروا ما ورد فيه كافياً لدعم سياسة التعريب في كردستان العراق وذلك بالاستناد الى الايديولوجيا القومية التي تتمسك برابطة الدم كأساس للتشكيل القومي. وهذا الاساس مرفوض ولا قيمة له بالنظر لاستناده الى مستبقات عرقية مستمدة من الايديولوجيا الامبريالية الام. وانا اذكر في هذا المقلم بالحقائق التاريخية الاتية:-

انتشر العرب قبل الاسلام في عموم الهلال الخصيب (بلاد الشام والرافدين)وبدأت من يومها سيرورة تعريب لهذا الاقليم الكبير. كانت القومية السائدة في ذلك الوقت هي ألآرامية التي كانت بدورها قد ابتلعت بقايا الكنعانيين(الفينقيين) في الشام وبقايا الكلدان البابليين في العراق لتصبح هي الموجة السامية السائدة حتى ظهور الموجة العربية. وقد تم للعرب ابتلاع الآراميين بنفس الوتيرة المألوفة في الموجات السامية المتعاقبة. ولما جاء الاسلام كانت بلاد الشام والعراق مهيأة للتعريب النهائي فلم يمض وقت طويل حتى صاروا هم القومية السائدة في الاقليم كله.

وبعد الاسلام ادت الموجات العربية الذاهبة مع الفتوحات وبعدها الى تعريب مصر وشمال افريقيا وكانت هذه الانحاء قد شهدت موجات سامية غير طاغية جاءتها عبر سيناء. او البحر وحين جاء الاسلام لم تكن في مصر ولا في بقية شمال الافريقي حالة قومية سائدة ذات خصائص ثقافية متبلورة وكان هذا هو السر في تعرب هذه البلدان. بينما فشل العرب في تعريب اسبانيا لاصطدامهم بقومية راسخة محمية بدين سماوي ومرتبطة به مع عموم القارة الاوربية. وعلى الرغم ان اسبانيا عانت من استيطان عربي استمر سبعة قرون(ثمانية في غرناطة) جعل مدنها الكبرى وشطرها الجنوبي (الاندلس) ناطقة بالعربية فقد استطاعت استرداد الهوية الثقافية لمناطق الاستيطان العربية السابقة بعد استعادتها بالفتح المضاد. وكان نجاحها في ذلك ساحقاً بفضل احتفاظها بالجذر القومي الاسباني وسط الاستيطان العربي.

في نفس الوقت. انتشر العرب مع الفتوحات في بلدان المشرق من ايران حتى اشرفوا على حدود الصين. كما حملتهم التجارة والتبشير بالدين الى الشرق الاقصى فكانت لهم جاليات في جنوب الصين بلغت في كانتون اكثر من مئة، الف وطيلة العصور الاسلامية كانت المدن الكبرى في ايران وآسيا الوسطى تكاد تكون ناطقة بالعربية **بل كانت هناك مدن خالصة العروبة ومنها مدينة (قم) وقد وصفها سائح من القرن الرابع الهجري بأنها مدينة مستحدثة لا اثر للاعاجم فيها (ابو دلف في الرسالة الثانية. طبعة موسكو** 1960) **ونجد هذا الوصف في (معجم البلدان لياقوت الحموي)الذي عاش في اواخر القرن السادس واوائل السابع(مادة قم).**

ومع انحسار الحضارة الاسلامية اخذت اللغة العربية بالانحسار من هذه البقاع التي بدأت تستعيد لغتها الام. فالعربية كانت لغة الثقافة الوحيدة – تقريباً – لجميع البلدان المسلمة. ولم تبق لها وظيفة بعد توقف النشاط الثقافي للحضارة الاسلامية كفعالية مشتركة للمسلمين.

ويلاحظ ان هذه البلدان تخلت عن اللغة العربية من دون ان تتخلى عن الاسلام ويصدق هذا على عرب الصين فقد تصينوا بعد انقطاعهم عن العالم العربي في العصور (البعد – اسلامية) فنسوا لسانهم العربي وتقاليدهم، لكنهم ظلوا مسلمين. وهم اليوم محسوبون من عناصر قومية (هوي) وهو الاسم الذي يطلقه اهل الصين على المسلمين الناطقين بالصينية تمييزاً لهم عن مسلمين آخرين ناطقين بلغات اخرى. (هوي بسكون الهاء والياء المنطوقة).وقد التقيت بمسلمين صينيين ينتسبون الى العلويين وشوفوني شجرة نسبهم مكتوبة بالعربية والصينية ويتصل نسبهم بالسيد الاجل (شمس الدين عمر) الذي تولي مقاطعة (يوننان) الجنوبية ايام الحكم المغولي للصين. وهم حسنية كما تدل شجرة النسب. لكن احد منهم لايقول انه عربي على الرغم انهم عرب في الاصل والدم. فهم صينيون خلص. اما تمسكهم بالنسب فبالنظر للثقافة الدينية وبالمثل فمن العسير اليوم ان نجد بين سكان مدينة (قم) من يقول انه عربي فهم فرس كغير هم من سكان ايران مع انهم عرب خلص في الدم.

في المقابل ، وكما ذكر المؤرخ العزاوي، فان اعداداً كبيرة من الاكراد خالطت العرب ونسيت اصلها بمرور الزمن حتى لم يعد هناك شك في عروبتها، ومن المحتمل جدا ان يكون من بين هؤلاء من يحمل الايديولوجيا القومية للقوميين العرب ولعله يدعو او يساهم في حملة ابادة الاكراد وارغامهم على التعرب، ونذكر هنا بالقبيلة الكردية التي تعيش اليوم في بلدة الديوانية العراقية. وقد تناولها العزاوي ضمن العشائر الكردية وهذه العشيرة كما يقول العزاوي، لم تعد كردية في بلدة في الحقيقة فهي عربية خالصة ويقدم لنا تعرب هذه العشيرة دليلا ملموساً على خضوع المستوطنين للقومية السائدة: العشائر العربية تكردت ونسيت عروبتها، والعشيرة الكردية في العراق الاوسط تعربت ونسيت كرودتها. ولم يكن للدم في ذلك اي دخل, ومن الجدير بالذكر ان الكتاب القوميين انفسهم ينكرون عروبة الدم حين يتعلق الامر بشخصيات تأريخية يراد اثبات عروبتها. وقد تمسكوا لهذا الغرض بحديث منسوب الى النبي محمد يقول ان العربية (اي العروبة) عربية اللسان. فمن تكلم بالعربية فهو عربي وبالاستناد اليه يثبتون عروبة (الفارابي)و(ابن سينا)و(البيروني)و(ابوحنيفة)

وغيرهم من ركائز الحضارة الاسلامية. وهذه القاعدة تشمل عندهم جميع الشخصيات التأريخية المطلوب ضمها الى النسب العربي. وهي تنطلق من ان الاعجمي يمكن ان يتعرب باكتسابهم الخصائص الاثنية العربية لكنها لا تصح على العربي الذي استعجم لانه يبقى عربيا بحكم جريان الدم العربي في شرايين آبائه وهذا تناقض يفتقر ليس فقط الى مبادئ المنطق وانما ايضا الى مبادئ الاخلاق. ولاشك في ان هذا هو ما تتسم به التجربة العراقية الراهنة، وهي اسوء ما وصل اليه العمل القومي في وطننا العربي.

(هذه مقدمة كتبه هادي العلوي لكتاب – لا أصدقاء للكرد إلا الجبال –
والذي ترجمه من الانگليزيه الى العربية – السيد راج ال – الكردي)

تثير هذه الكلمة المستحدثة: كردستان فضول العديد من الناس للكلام عنها كواحدة من قضايا العصر, برزت مع نهايات القرن التاسع عشر واستمرت ساخنة مع نهايات القرن العشرين. والمتحدثون عنها فئات شتى فيهم من يصدر عن وجدان انساني واحساس بالعدل وفيهم من يمشي مع الموجات والموضات فيردد ما يقال على المزاج ان صدقا وان كذبا. وفيهم من يوظفها لأمر يريد أن يبلغه مع نفسه أو مع قومه أو مع معسكره ومصالحه المشروعة والغير مشروعة.

وكثرة الحديث عن كردستان دليل عافية لكردستان التي فرضت نفسها على الناس من أعداء وأصدقاء و محايدين، ان كان قدبقي محايدون في الدنيا. وضمن هذه الموجة الصاعدة يشتد الاهتمام بكردستان في الغرب الاوربي والشمال الامريكي اشتداداً يبدو لعين البصر كما لو أن كردستان تكافئ اسرائيل في أهميتها للغربيين. لكن الاهتمام الغربي بكردستان يدخل في عداد المثل العراقي ((مشتهي و مستحي)) وهو في الاهتمام باسرائيل قد حسم شهوته على حساب حيائه منذ وطئت قدماه تراب هذا الشرق القريب من سواحل القارة الشقراء. ويرجع تعادل الشهوة والحياء بخصوص كردستان الى اعتبارات كثيرة فصل الكثير منها في هذا الكتاب الذي نقدم لترجمته العربية. وهو عندي من الكتب المتميزة في قياس ما كتبه الغربيون عن كردستان.

ومع أن مؤلفي الكتاب يعملان في نطاق امبراطورية الاعلام (الاور أمريكية) فان القارئ يلمس في مجمل فصول كتابهما تعاطف صادق مع قضية شعب مظلوم. والاحساس بالعدل مهنة شرقية في الاساس وقد جعله فلاسفة الصين معيار التفرقة بين الانسان والحيوان. لكن الحضارة عند ارتقائها في موضع ما تفرض معادلاتها الخاصة بها كمصدر للوعي والفكر, وحضارة الغربيين التي قامت على النهب والعدوان والجريمة المنظمة عالمياً افرزت معادلات هي النقائض الجوهرية الفاصلة ما بين الاميريالية المتوحشة وخطوط التنوير الممتدة من القرن الثامن عشر الى العصر الحاضر. وليس من المفارقة بالتالي أن نجد مقابل فرانسوا ميتران (جان بول سارتر) ومقابل مارغريت تاتشر (برتراندرسل) ومقابل هتلر (غوته).

وقد تلمست في هذا الكتاب الذي ترجمه المناضل[1] الكردي (راج ال) لوامع احساس بالعدل تحمل آثار (غوته) و(رسل) والقلة من أمثالهما في التأريخ الثقافي لأوربا في الكاتبين هارفي مورسي[2] و(هون بلوخ) يتخذأن موقف تضامن من قضية الشعب الكردي لانها مع حقوق الاكراد ومطالبهم حتى النهاية التي يجب أن تتوج باقامة دولة كردستان المستقلة. وموقفهما نظيف لانه غير خاضع لأية هواجس أو عقد مما تعودناه من الغربيين الذين يتطوعون لنصرة الشعب الكردي

---

[1] قلت للاستاذ (هادي العلوي)ان هذه الكلمة ليست على مقاسي ، لكنه اصر على بقائها قائلاً : ان النضال لايعني بالضرورة الانخراط في حزب سياسي او حمل السلاح لكنني أكد : انا لا استحق شرف حمل لقب المناضل لقاء عملي المتواضع هذا .

[2] يعتقد الاستاذ هادي العلوي ان الاسم المنافي في الاصل ، وهو يلفظه على هذا الاساس : اما المترجم فيعتمد اللفظ الانكليزي .

وغيره، ولكن ضمن أغراض بعيدة و نوايا قد تكون شريرة و سيئة. وأنا هنا أفكر بذلك التأييد الذي منحه للقضية الكردية أمثال أندريه ساخروف. وهذا الرجل معادي لكل ما هو عادل و شريف من قضايا الشعوب ولكل ما هو عادل وشريف من الأنظمة الاجتماعية والمبادىء الإنسانية, وهو احد الأشرار الذين ساهموا في تدمير الاتحاد السوفيتي وتوجيه الضربة القاضية الى الشيوعية في روسيا وتسليمها من ثم الى عصابات المافيا واقتصاديات البورصة التي حولتها الى مزبلة بشرية وصارت تهدد كيانها السياسي والبشري بالاضمحلال ضمن خطة وضعها الغرب للتخلص من غريم خطر اقض مضجعه على امتداد هذا القرن الحالي . مثل هذا الوقت الذي كان يدعو الولايات المتحدة الى المزيد من العدوان على فلاحي فيتنام ويتصدي للدفاع عن الشعب الكردي! أية نية شريرة يضمرها ياترى بتأييده المشبوه لقضية ليست من مهنته ولا من همومه؟

في هذا الوسط القلق والمضطرب وعياً واحساساً وضميراً, أستطيع أن اصف كتاب (موريس وبلوخ)بالدراسة العادلة ومنصفة لقضية الشعب الكردي, فالحضارة الغربية المتعفنة التي انتجت امثال ساخروف وتأتشر ويلتسن تتمخض بين النبضة والاخرى عن ضمير حتى يتناغم مع الانسانية ومطالبها العادلة.

يحتوي هذا الكتاب على تفاصيل متورخة شديدة الضبط والدقة عن القضية الكردية . ويبدو المؤلفان على دراية كافية باسرار القضية وملابساتها وتعقيداتها . وقد اظهرا ايضا معرفة جيدة بتأريخ الاكراد واصلهم واستعرضا الروايات المتعلقة بذلك بمنهج نقدي محايد يتجاوز المألوف الخرافي والاخطاء الشائعة لحساب ونتائج مرضية في حدود المصادر المتوفرة.

وهما كصحفيين في الاصل قد لايكون لهما من الخبرة في نقد التأريخ ما للمؤرخ المتخصص، لكن هذا لم ينال من قدرتهما على معالجة امور تدخل في صميم عمل المؤرخ المحترف والنتيجة التي استقر عليها الكاتبان من تلخيصهما التشريحي هي النتيجة التي ينطلق منها كاتب هذه السطور في دعوته لاقامة دولة كردستان.

فهنا في هذا الجزء من العالم الشرقي المسمى كردستان تعيش امة عريقة سبقت معظم شعوب المنطقة الى الاستقرار فيها, فهي واحدة من اقدم امم الشرق وعلاقتها باقليمها اوثق والصق من علاقة معظم الشعوب المعاصرة ببلدانها المنسوبة اليها ، ومما يفضح انسانوية الغربيين اجماعهم على اقامة دولة لشذاذ من المهاجرين على حساب شعب مطرود خارج حدوده مع استنفارهم لحماية هذه الدولة المهاجرة بكل ما عندهم من قدرات من السياسة والاقتصاد والحرب . واجماعهم في المقابل على رفض اقامة دولة في كردستان لشعب عريق . وقد تضمن الكتاب : "لاصدقاء سوى الجبال "من فضائح السياسة الغربية في هذه المسألة ما لو كتبه كردي ليتهم بالمبالغة والتعصب !

ان الانحراف الانساني الذي يرصده المؤلفان في معسكرهما الغربي تجاه الشعب الكردي هو نفسه الذي يجعل الغربيين يثيرون الضوضاء حول (القمع) الصيني في التبت ويسكتون عنه في (تركستان) الصينية . فالمحرك لهذه الانسانية هو الاستعمار والعقد النفسية المتوارثة وليس الاحساس بالعدل . وقد مر المؤلفان بالموقف من قضية التيبت كمسلك مسلم به جدياً، من غير أن يتساءلا عن السر في هذه الاحادية الأخلاقية! و أنا على أي حال لا أتهمهما بسوء الغرض فهما في كل الأحوال يفكران ضمن الوسط الذي انجبهما. وليس من المنطقي أن نطالبهما بفهم الدوافع التي تجعل (دانيال ميتران) تناصر الأكراد وليس الفلسطينين أو ندعوهما الى التشكيك في نوايا داعية (حقوق الانسان) اندريه ساخروف، أو التساؤل عن السبب الذي يجعل مارغريت تاتشر تهاجم خليفتها لتردده في نصرة الأكراد. على أني بهذا الاعتبار اسمح لنفسي بمناقشتهما ولكن لا على سبيل المضادة لخصوم سياسيين او ايديولوجيين بل مناقشة من يتفقون على عدالة قضية ويختلفون في الهوامش. ومن الهوامش التي اختلفت مع الكاتبين:-

⋆ ان قوات الحلفاء لم تأت الى الكويت لصد العدوان عنها بل للدفاع عن مصالح ستراتيجية لبلدان اوربا وامريكا الشمالية وضمن نفس السياسة الامبريالية القائمة على التدخل العسكري منذ القرن التاسع عشر . واذكرهما بتساؤل بعض الكتاب الايطاليين : ماذا لو كانت الكويت تنتج البندورة ؟

⋆ والاغاثة التي جاءت الى الاكراد في كردستان الجنوبية (المسمات كردستان العراق)لم تكن بدافع انساني او استجابة لرغبات الرأي العام في الغرب بل هي استمرار لعملية التدخل التي بدأت في الكويت . وانا مع ذلك لا اقول انها كانت عملا سيئاً فلولا التدخل الغربي لأبيد الشعب الكردي عن اخره بقوات صدام التكريتي . ان متوحشا من هذا الطراز لا يمكن صده الا بمتوحش مثله .

وينبغي القبول بالنتائج الناجمة عن الانشقاق في معسكر الاعداء فلولا انشقاق صدام عن اسياده الامبرياليين لكان بمقدوره تحويل كردستان كلها الى حلبجة من غير ان يصده احد . لقد كان هذا التصدع في جبهة العدو مفيداً للشعب الكردي . والمثل العراقي يقول :"العقرب دواءها النعل " – العراقيون اعتادوا على قتل العقارب بأحذيتهم ! –

وينبغي لموريس وجون ان يضعا في حساب الرأي العام الغربي ان الحكم في الغرب يستند الى الادارة الحرة للشعب الذي ينتخب حكامه في دورات معلومة . فالحكومات الغربية ليست طغم عسكرية او انقلابية بل هي حكومات منتخبة ، والشعوب الغربية من هنا مسؤولة عن سياسة حكوماتها وهي تستطيع تغييرها إذا اختلفت معها في ذلك .

في هذا المساق يفكر المؤلفان من خلال مرجعية غربية يتعين على الاكراد ان يضعوها في حسابهم إذا ارادوا لقضيتهم ان تنتصر . اي المطلوب هنا تكييف النضال الكردي حسب مزاج الغربيين . والكتاب لذلك يمتدح الاكراد لانهم لم ينخرطوا في اعمال إرهابية . ان مصطلح "الارهاب"يستعمله الاعلام الغربي لوصف العمليات الموجهة الى البلدان الغربية بما فيها اسرائيل . ويشمل المصطلح ما يقوم به الاكراد في كردستان تركيا ، العضو في حلف الاطلس والتي تأتي في الاهمية بعد اسرائيل .

والملحوظ هنا عدم تعاطف الكاتبين مع حزب العمال الكردستاني وسعيهما لابراز اخطائه وتضخيمها .ويأتي ذلك بتاثير الوسط الاعلامي الذي يعملان فيه وهو وسط معادي لاكراد تركيا ومتعاطف مع اكراد ايران والعراق . والتأثير غير واعي لان الكاتبين مخلصان للقضية الكردية ، لكنهما يصدران عن موقف ثقافي رخو من الثورات المسلحة وتأييدهما للقضية الكردية محدود بالاعتبارت السياسية والدبلوماسية التي يعني بها المثقفون . وهما يختلفان في ذلك عن برتراندرسل مثلاً ، إذ كان يدعو الفيتناميين الى قصف نيويورك إذا امتلكوا الوسائل .

ان المأزق الذي انتهت اليه الثورة الفلسطينية يكمن في تحولها من العنف المسلح الى العمل الدبلوماسي . وهو المصير الذي تحاشته الثورة الفيتنامية بجعلها العمل المسلح هو الأساس وارغمت بذلك المعتدين الأمريكان على الانسحاب من فيتنام بعد مفاوضات شكلية لحفظ ماء الوجه. وفي اعتقادي أن التجربة التي يخوضها حزب العمال الكردستاني تضع القضية الكردية في المسار الفيتنامي, وآمل أن تستمر وتتطور وان يتحاشى قادة الحزب الدخول في مساومات الحل الوسط, فقد ثبت أن المفاوضات تجر الى مد الهزيمة العسكرية اي تتم على حساب الاهداف النهائية للثورات ويمكن لحزب العمال ان يكون حزب الاكراد كلهم اذا تجنب السير في خط الاحزاب الاخرى لاسيما حزبي البارزاني والطالباني . ولم افهم سبب سخرية الكاتبين بهذا التوجه لدى حزب العمال سوى مزاجهما الثقافي .

لاحظت ايضا انحياز من الكاتبين لعبد الرحمن قاسملوا وتحامل على الملا المصطفى البرزاني . ولعل السبب راجع الى كون قاسملوا من المثقفين القلائل في القيادة الكردية . لكن قاسملوا لا يملأ حيز الملا لانه لم يستطع التحول الى قائد شعبي على غراره . وهي مهمة صعبة في الواقع على المثقفين . والملا مصطفى قائد بمواصفات تأريخية . ونقطة الضعف فيه انه لم يستطع خلق قيادات بنفس المستوى لتواصل مسيرته . وهذا حساب مهم في الثورات الناجحة لاسيما في الشرق . ويرجع

الكثير من الانتكاسات التي عانت منها الثورات الى رحيل قائدها قبل انجاز مهامها مع شغور القيادة . وعندما نرجع الى التأريخ نرى ادلة ملموسة على هذه السيرورة .

فالنجاح الكاسح الذي حققته ثورة (محمد) لايرجع حصراً الى عظمته كقائد تأريخي بل وايضا الى الكفاءات القيادية الضخمة التي خلقتها ثورته . ولذلك لم تواجه الثورة الاسلامية ازمة قيادة بعد رحيل المؤسس. وقد اقترن صعود الاسلام طيلة قرنين من عصره الذهبي بالعبقريات القيادية التي توالت على السلطة والمعارضة لتستكمل بوتيرة عالية ما بدأه محمد ويصدق الحكم على الثورة السوفيتية التي استمرت بعد لينين من خلال عبقرية ستالين القيادية مع اختلاف الزعيمين في الوعي والوجدان . وقد تلمس المؤلفان حقيقة ازمة القيادة في الثورة الكردية .

وإني لآمل ان تعالج هذه الازمة على يد حزب العمال من غير ان يعني ذلك المضي في عبادة القائد على النحو الجاري فيه الان . فقد دلت التجارب على ان القيادة تشغر بعد رحيل قائد ميداني معبود لانه يكسف من حوله ويحجمهم فلا يترك فرصة لنمو مواهب قيادية بعده على نحو ما حصل في الثورة الصينية بعد رحيل ماوتسي تونغ وفي فيتنام بعد رحيل بانيه (هو شي مين) .

(نقاط اخرى للمناقشة) ....

1- تحدث المؤلفان عن القضية الكردية في سوريا كما لو كانت بنفس العمق والإمتداد الذي تأخذه في العراق وتركيا وايران . والملحوظ أن الغربيين يركزون هذه الايام على اكراد سوريا . ويرجع ذلك الى محاولتهم التشويش على السياسة السورية بخصوص مايسمى عملية السلام . يصعب الحديث في الحقيقة عن قضية كردية في سوريا بنفس ذلك الحجم والمقياس . فالاكراد في سورية لايشكلون قومية كبيرة كما في العراق وايران وتركيا . وقضيتهم اقرب الى ان تكون قضية حدود من ذلك النمط المتكرر والمألوف في كثير من البلدان حيث تتداخل على جانبي الحدود جاليات ومواقع جغرافية تدخل هنا وهناك . ومن هذا القبيل مايسميه القوميون العرب (عربستان الايرانية) وهي ليست اقليم بل مواقع حدودية دخلت ضمن الاراضي الايرانية ولا تتعدى الخطوط المتاخمة للضفة الشرقية لشط العرب. وقد ادخلوا فيها الاهواز وعربوها الى الاحواز وهي مدينة فارسية منذ العصر الجاهلي ومعروفة بالاهواز من ذلك العصر لا الاحواز . ومن شأن القوميين في كل أمة النزوع الى التوسع على حساب القوميات الاخرى . وينبغي التدقيق في ادعاءاتهم وعدم اخذها كمسلمات .

2- تحدث المؤلفان عن ((ولاية الموصل الكردية)) ويجب التفريق بين مدينة الموصل وولاية الموصل . فالمدينة عربية خالصة وجزء من اقليم العراق كما حدده الجغرافيون المسلمون منذ العصر الاسلامي . لكن الموصل تقع على حدود كردستان وتدخل في إدارتها قرى وبلدات بعضها سرياني وبعضها كردي. وقد فصلت عنها مدينة دهوك مؤخرا لتصبح محافظة مستقلة وهذا قرار صائب . وينبغي ان تشمل إدارتها القرى الكردية الملحقة بالموصل حتى يتم الفرز القومي على نحو صحيح وعادل .

3- قال المؤلفان ان كلمة كرد تستعمل في العراق كنسبة للاشارة الى البدائي والبدوي الغير مثقف . وهذا صحيح . ولكن الباعث عليه ليس عنصريا وانما يجري على عادة العوام في التنكيت على غيرهم من اهل المدن الاخرى او اتهامهم بامور معينة بصرف النظر عن هويتهم . ومن هذا القبيل احاديث اهل بغداد عن اهل الموصل المتهمين فولكلورياً بالطمع والبخل والاحتيال . ويقول المثل البغدادي في ذلك : "عاشر واوي ولا تعاشر مصلاوي" والواوي هو ابن آوى ! وهناك احاديث ونكات مماثلة في سورية عن اهل حمص وهي ترجع الى العصر الاسلامي حيث ورد في حكاية ابي القاسم البغدادي (الرسالة البغدادية) قول ابي القاسم عن نفسه :

حماقة مني. ومذ كنت لي حماقة ، تعرضْ ، حمصية

وفي الادب الشعبي العراقي امثال عن بعض المدن المتهمة بسلوكيات معينة يرقى بعضها الى العصر الاسلامي .

وقد تجنب المؤلفان الحديث عن المكاسب التي حصل عليها الاكراد في العراق بالقياس الى اكراد ايران وتركيا .فقد اعترف بالاكراد كقومية لها خصوصيتها منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ،وأسست المدارس في كردستان العراق لتعلم اللغة الكردية الى جانب العربية ونشأت اجيال من اكراد العراق مثقفة بالثقافة الكردية ومتضلعة في لغتها القومية . وتبث اذاعة بغداد الرسمية برنامج باللغة الكردية يتوازى في مدة البث مع الاذاعة العربية . وتطورت الطباعة والنشر في كردستان العراق فصدر العديد من الصحف باللغة الكردية وطبع العديد من المؤلفات . وليس لهذه المكاسب ما يماثلها في ايران وتركيا . وبتأييد الحزب الشيوعي والشيعة [1] تقرر التعاطف مع الاكراد في الوسط العربي العراقي واقتصرت الشوفينية على التكتلات القومية الصغيرة .

وقد فسر المؤلفان قسوة الجيش العراقي على الاكراد بالروح القومية التي تتغلغل في صفوفه وهذا خطأ ، فالجيش ينفذ اوامر حكومته . وقد قام بتوجيه ضربات مدمرة الى مدينتي النجف وكربلاء بناء على تعليمات صدام وطالت قذائفه القبات المقدسة لدى الشيعة فخربها رغم انه يتألف من قاعدة شيعية في الاساس . ان الجيوش النظامية حتى في البلدان المتقدمة لا تحارب بناء على مبادئ او عقد خاصة بها بل هي خاضعة لتوجيهات القيادة السياسية ومن شأن العسكريين المحترفين تنفيذ الاوامر بصرامة دون التفات بالاعتبارات الوطنية او الاخلاقية . هذا فضلا عن الطابع الاعتدائي للنشاط العسكري والروح الهجومية لدى العسكريين . وهذا كثيرا ما تخرج حتى على الحدود المرسومة لها من القيادة السياسية . وكان عمر بن خطاب يتبرأ من (معرّة الجيوش)اي تجاوزاتها العدوانية بعد ان يكون قد زودها بتعليمات مشددة في هذا الخصوص .

4- ربط المؤلفان بين الأبجدية اللاتينية و التقدم الاجتماعي والصناعي , واستندا الى ذلك وضع تركيا في مصاف الدول الاوربية . وتركيا بلد متخلف ولا يتصنف ضمن البلدان المتقدمة ولا يمكن مقارنة (اسطنبول) باي مدينة اوربية فهي من مدن العالم الثالث بامتياز . ونجد في المقابل ان الثورة الصناعية حدثت في اليابان من خلال المقاطع اليابانية التي يتمسك بها اليابانيون ويرفضون اللاتينية . كما نهضت الصين بقيادة الشيوعيين وتحولت الى دولة صناعية كبرى ذات قدم في الاقتصاد العالمي و مصدرة للمنتجات المصنعة من دون ان تتخلى عن المقاطع وتاخذ بالابجدية ولا مجال للمقارنة بين تركيا وكل من اليابان والصين.

ان الاتجاه الى الابجدية اللاتينية يندرج الموضة السائدة . وانا لا اقول ذلك لاعترض على توجه الاكراد نحو الابجدية اللاتينية فللاكراد كتابة قومية يتمسكون بها كاليابانيين والصينيين فهم يستعملون الابجدية العربية وهي اجنبية وانتقالهم الى اللاتينية لايزيد ولا ينقص من وطنيتهم ! لكن الربط بين الابجدية اللاتينية افتعال (اورومركزي) لايثبت للتجربة . ومن الجدير بالذكر ان الشعوب التي لها ابجدية قومية هي الارمن والهنود واهل التبت ومنغوليا الداخلية الصينية هي ايضاً حال الكتابة السريانية.

وفي الختام اقول ان كتاب ((لا اصدقاء سوى الجبال)) يتمتع بقيمته الخاصة به كمرجع طازج في ((الكرديات)) وهو كتاب يتسم بالنزاهة والمحبة مع المصارحة والمكاشفة الدبلوماسية او المجاملات . ولايملك الاكراد الا ان يحب مؤلفيه مهما اختلف معهما ويترجم الى اللغة الكردية ليقرأه الاكراد انفسهم مع اني أتمنى ايضاً ان تقيد الترجمة الكردية للمترجم الكردي ينبه بها القراء الاكراد الى ما يراه في. الكتاب من أمور تقتضي الدقة والموضوعية . سواء مما أوردته في هذه المقدمة مما قد يشاركني فيها او من أمور اخرى قد يخالف وجهة نظره . ولست مع الترجمة السائبة للكتب ولابد للمترجم ان يكون له رأيه فيما يترجمه ولا كعهد التلمذة للغربيين مع احترامنا للمنصفين منهم ، فالناس سواسية كأسنان المشط في العقل و

---

[1] قلت للاستاذ هادي العلوي ان الاحزاب الشيعية هي الاكثر معارضة للفكرة الفدرالية ، فقال: هؤلاء من الشيعة المسيسين ويتبنون وجهة النظر الايرانية اما الشيعة غير المسيسين وهم يتعاطفون بشدة مع الاكراد. المترجم

الاستذة. وسلامي لكردستان واهلها واهنئ الفتى الكردي (راج آل) على مبادرته الناجحة ترجمة الكتاب واظهاره في لغة عربية متينة وسلسة مع انها ليست لغة الأم .

(جروح الماضي المتجددة)*

بقلم/ هادي العلوي

كانت بطاقة الشرف تلك التي حملها الصحفي (السوفيتي) (ايغور سمنيخين) وهو يطوف بعض ارجاء كردستان العراق, حيث ترتب عليه ان يؤدي ثمن البطاقة الباهض, المتوازي مع الاسعار العالية للشرف الانساني في السوق العالمية. . ففي مقالة نشرتها جريدة (زاروبيجووم) الناطقة بلسان منظمة الصحفيين السوفييت/ العدد 40 (1525)سنة 1989 تحت عنوان : (كردستان العراق.. علاجاً لجروح الماضي) نقل الكاتب المذكور ماتلقنه من مسؤولي الحكومة العراقية باخلاص مثير للانتباه, مع التبني لجميع منطلقات والمصادرات التي تتشكل منها سياسة هذه الحكومة تجاه الاكراد وقضاياهم.

نلخص فيما يلي اهم الافكار والانطباعات التي عاد بها الضيف (السوفيتي) من العراق :..(قال الصحفي الالماني من مجلة (ديرشبيغل) ان العراقيين يبحثون عن غرار لحل القضية الكردية. وهو غرار قد يساعد في علاج جروح الماضي). والعراقيين الذين يقصدهم الصحفي الالماني – والعهدة على محرر زاروبيجوم – هم افراد الحكومة. اما جروح الماضي فقصد بها الصراعات التي خاضها الاكراد ضد الحكومات العراقية السابقة لمجيء الحزب الحاكم الى السلطة. ذلك لان هذا الحزب بدأ خلافاً لاسلافه, (خطوات مرنة من اجل حل القضية الكردية).

وهذه الخطوات المرنة لم تؤد الى حسم المشكلة بسبب التحريض من الخارج حيث استمرت الفصائل المسلحة للمتمردين الكرد في توتير الاوضاع هناك. وابان الحرب مع ايران قرر عدد من زعماء الثوار الاكراد استغلال مساعدة ايران لتحقيق اهدافهم الانانية الضيقة ونتيجة اعمالهم الخيانية تمكن الايرانيون من التوغل في بعض المناطق من شمال العراق والاستيلاء على بعض القرى وضمنها حلبجة التي اصبحت فيما بعد المركز الاساسي للهجوم الايراني على كردستان العراق.

وقد اعطى هذا الوضع الحكومة العراقية الحق في استعمال ما لديها من وسائل لردع الايرانيين ومنها قصف سكان حلبجة بالسلاح الكيمياوي. واقتبس الكاتب (سمنيخين) تصريح نزار حمدون نائب وزير الخارجية العراقي بأنه {من اجل وقف التدخل الايراني اضطر العراق لاستخدام جميع الوسائل المتوفرة لديه ومن ضمنها السلاح الكمياوي. وكان هذا الاجراء اضطرارياً بحكم الظروف العسكرية} .

واستطرد الكاتب : في الصحافة الغربية اثيرت الضجة الشديدة حول كارثة حلبجة. ولقد توارت وراء هذه الضجة الاعمال الارهابية لحراس الثورة الاسلامية التي ارتكبت بحق الاكراد الايرانيين.

منذ سنة وبعد توقيع اتفاقية وقف النار بين العراق وايران قامت حكومة صدام حسين بمحاولة تعزيز الحدود الشمالية للبلاد فقامت بتعزيز الحاميات العسكرية هناك ووجهت الى هذه النواحي اكثر من ستين الف جندي. و تحت ضربات الجيش العراقي هرب الثوار من العراق الى تركيا المجاورة واجبروا جزءاً من السكان المدنيين على الهروب معهم. وانطلاقاً من ضرورة تطبيع الاوضاع في شمال البلاد وضرورة حل مسألة اللاجئين الكرد اعلنت حكومة صدام حسين ثلاث قرارات بالعفو العام دون شرط او قيد في ايلول ثم في تشرين الثاني 1988 ثم في شباط1989 .

اضافة الى ذلك وبالاتفاق مع السلطات التركية زار وفد عراقي تركيا في آيار الماضي من اجل اللقاء مع اللاجئين وتفسير قرار العفو ومن اجل التاكيد على امكانية عودتهم الامنة الى الوطن . ولكن الوفد لم يتمكن من تحقيق رسالته الانسانية لانه تعرض الى هجوم العناصر المسلحة التي تراقبه من مخيمات اللاجئين. واقتبس الكاتب تصريح وزير الاعلام لطيف

* نشرت في مجلة الثقافة الجديدة.

نصيف الجاسم "ان الحكومة العراقية بالرغم من كل ذلك قد قالت ومازالت تقول بان حدودنا تظل مفتوحة للاكراد العراقيين الراغبين في العودة الى الوطن . اننا نؤكد لهم بانه سوف يعيشون بأمان ورفاهية ..."

وتطرق الكاتب الى انتخابات في كردستان فقال : اصبح الانتخابات للمجلس التشريعي لكردستان العراق (في أواخر الثمانينات) بوصفه هيئة عامة للسلطة المحلية في منطقة الحكم الذاتي دليلا ساطعا لبداية الاستقرار في شمال البلاد . ووصف بعض مشاهده فقال : وصلنا الى السليمانية وشاهدنا جماهير الكرد بازيائهم الجميلة الاحتفالية قد اجتمعوا عند نقاط الانتخابات على عزف الموسيقي وقرع الطبول .. وفي ملتقيات الطريق ، ومن اجل منع الاعمال الارهابية المحتملة من قبل الثوار المرابطين في ايران, كانت الدوريات العسكرية متواجدة. واستشهد الكاتب بموقف بعض الصحفين الغربيين قائلاً: ان هؤلاء الذين وصلوا الى كردستان من اجل ايجاد الحقائق المثيرة قد اعترفوا مندهشين بالطبيعة السلمية والهادئة للانتخابات والمشاركة الواسعة للسكان فيها.

ونقل عن طبيب كردي في العيادة الحكومية ان هؤلاء الاكراد الذين تأثروا بالنداءات الاستفزازية للمتمردين قد اقترفوا خطأ كبيرا وحكموا على شعبنا بالمآسي الجديدة. الحمد لله الآن كل شيء هادىء.. وعن فلاح كردي قوله: انا فلاح. لقد اعطتني الحكومة الاموال وقطعة ارض جيدة. عندي بيت وسيارة جديدة (بيكاب تيوتا). في اثناء الحرب كنت في فصيل الفرسان احارب الايرانيين... (الفرسان يسميهم الاكراد جحوش, بالكردي جاش, وهو لقب اطلقوه على المتعاونين مع السلطة منذ اوائل الستينات).

وتحدث عن قادة الثورة الكردية فقال : ان مسعود البارزاني هو ابن زعيم العشيرة الاقطاعية مصطفى البارزاني وانه يعتمد على جزء من الملاكين العقاريين الكبار وشيوخ بعض العشائر. وقد تعاونه الفصائل المسلحة للبرزانيين والطالبائيين مع حراس الثورة الاسلامية. ولكن بنتيجة العمليات العسكرية التي شنتها القوات العراقية على ثلاث مراحل في حلبجة واربيل وكركوك تم تدمير القوات الاساسية للثوار وهربت البقايا مع زعمائهم الى تركيا وايران. وكما قالت لنا الشخصيات البارزة المحلية من اربيل والسليمانية فقد انتهى الان بالفعل نفوذ وتأثير هذين الحزبين وان البارزاني في محاولة منه لاعادة نفوذه يقوم حالياً بجولة في اوربا الغربية حيث لايزال يبشر بنهج الارهاب وعدم المصالحة.

وتطرق الكاتب الى الحزام الامني الذي قررت الحكومة العراقية اقامته على طول الحدود مع ايران وتركيا بعمق ثلاثين كيلو مترا فقال: في مدة اقل من سنة على اعلان خطة الحزام الامني تم تدمير الفي قرية. ونشرت في الصحافة الغربية مقالات كثيرة تتهم العراق مباشرة بانتهاك حقوق الانسان. وقد شرح لنا هذه القضية (علي حسن) عضو مجلس قيادة الثورة بالقول: ((علينا ان نضمن امن سكاننا, فطيلة مدة طويلة كانت حدودنا في الشمال مفتوحة امام التدخل المعادي من الخارج. ولكن الان تخلصنا من هذا الوضع والناس أصبحت حياتهم حالياً هادئة وميسورة. وبطبيعة الحال فالتهجير عملية مؤلمة ولكنها اضطرارية بسبب من الوضع المعقد في المنطقة)).

ونقل عن حديث في حلبجة قول مرافقه الحكومي: ((حلبجة القديم لم تعد موجودة ولكن توجد حلبجة الجديدة التي نبنيها على مسافة خمسة وعشرين كيلو متر من هنا. وقد انتقل اليها السكان كلهم...)).

ووصف الكاتب طرق ودروب حلبجة الجديدة وغيرها من قرى كردستان و قال بالحرف الواحد:((لا نستطيع ان نحلم بمثل هذه الطرق في موسكو ففي كردستان كل الطرق معبدة بالاسفلت ومجددة...)).

وفي مدن كردستان تظهر مثل الفطر بعد المطر الاسواق الحديثة والمدارس والمستشفيات وقد وظف لتطوير دهوك خمسون مليون دولارا. وقد تجول الصحفيون في القرى والمدن المجددة ليروا بام اعينهم رفاهية الشعب الكردي التي يوفرها له صدام حسين. ويتحدث الكاتب عن هذه المشاهد بشئ من الحسد لان الشعب السوفييتي لم يقيض له حاكم مثل صدام يحقق له مثل هذا الرخاء.

وقد عاد الاف اللاجئين الكرد ليتمتعوا بالحياة الجديدة. ولكن للاسف لايزال الطريق مليئا بالشوائب بالرغم من محاولات السلطات العراقية لطي الصفحات الحزينة بالضغط العنيف على الكرد وبدء الحوار الواسع معهم كطريق نحو التفاهم الحقيقي. والشيء الاكثر تعقيداً ان بعض القوى التخريبية من الخارج تسعى الى زعزعة الوضع السياسي في داخل العراق.تلك هي اهم فقرات المقال. وهي تكشف عن جملة المفاهيم والمنطلقات التي صدر عنها الكاتب في تقييمه لاوضاع العراق وسياسة النظام القائم فيه. ونلخص ذلك فيما يلي:

1- ان الحكم القائم في العراق هوحكم شعبي يستند الى سياسة ديمقراطية انتخابية. ويبدو الرأيس صدام الحسين كمثال على الحكم المتنور الذي يفتقر اليه بلدان العالم الثالث, بل وقد يكون من سوء حظ السوفييت انهم لم يحظوا بحاكم مثله!!. وهذا استنتاج يمكن للقارئ ان يخرج به من قراءة متأنية لمقال الكاتب((السوفيتي)) الذي لم يستطع ان يخفي حسده للعراقين لاسيما الاكراد, الذين ينعمون بنظام حكم يقوم على الانتخابات الحرة , ويتمتعون بمزايا الرسالة الانسانية التي يحملها الرئيس صدام حسين واتباعه, الذين شكلوا وفداً ذهب الى مخيمات اللاجئين الاكراد في تركيا حتى يقنعوهم بالعودة الى ديارهم بعد ان اخرجهم منها المتمردون. وهؤلاء المتمردون هم الذين يحولونه دون تحقيق المهمة الانسانية للحكومة العراقية بمنعهم الاكراد من العودة!!

2- ان الوضع في كردستان العراق قد استتب واستقر و الناس يزاولون حياتهم الاعتيادية متمتعين بالمشروعات الانمائية التي تنفذ هناك. ويربط الكاتب هذا الاستقرار بالسلاح الكيمياوي. وقد عبر عن هذه الفكرة بالمقتبسات التي اخذها من تصريحات بعض المسؤلين العراقيين, ومنها تصريح نائب وزير الخارجية بان استعمال السلاح الكيمياوي كان عملاً اضطرارياً لجأت اليه الحكومة لتطبيع الاوضاع في الاقليم.

3- وايد الكاتب عمليات التهجير الجماعي التي استدعاها الحزام الامني في كردستان. واعتبرها من قبيل العمليات الجراحية التي قد تستدعي البتر لاجل صلاح الجسد.

وبهذه الروح اظهر الكاتب اعجابه ببلدة حلبجة الجديدة التي تبنيها الحكومة العراقية بدلاً من البلدة التي ابيدت بالسلاح الكيمياوي. وقد بدأ لي وكأنه يثير شهية مواطنه السوفيتي المحروم من العيش في هذه البلدة التي تزدهر على اثرقصفها بالغازات السامة.

4- سلم الكاتب مهمة الدفاع عن حقوق الانسان الى الصحفيين الغربيين معتبراً ذلك شأناً خاصاً بالثقافة الغربية. وبعفوية ملحوظة كان يستشهد ببعض الصحفيين الغربيين من رفقائه في الجولة حين يتحدث عن ايجابيات الوضع العراقي. فهؤلاء الصحفيين رغم اختصاصهم بالدفاع عن حقوق الانسان واستنكارهم من ثم لاعمال الحكومة العراقية المنافية لها قد اكدوا سلامة الوضع في كردستان. ولسان حاله يقول: الفضل ما شهدت به الاعداء. وقد استخدم الكاتب الفعل (اعترف) عند اقتباسه من هؤلاء الشهود.

5- ان الكاتب يعتبر ان من الطبيعي لاي حكومة ان تنظم حملة ابادة GENOCIDE (أي ابادة الجنس – المحرر) في أي جزء من البلاد الواقعة تحت سلطتها بحيث تقتل, وبأي وسيلة, أي عدد تختاره من مواطنيها لكي تعيد بناء ذلك الجزء على اساس جديد. هذه هي جملة المفاهيم والمصادرات التي امكننا استخلاصها من تقرير الكاتب المنشور في جريدة (زاروبيجوم).

ان السيد (ايغور سمنيخين) يحل مشكلة الانتماء الطبقي للثورة الكردية, وهويتها بالتالي, بهذه الطريقة المبسطة: الملا مصطفى البارزاني زعيم عشيرة ((اقطاعية)). (هكذا ورد التعبير في الترجمة واذا صح فهو من اغرب التحليلات في علم الاجتماع حيث تكون العشيرة كلها اقطاعية وليس زعامتها كما هو معروف).. ومهما يكن, فالكاتب بلجوئه الى هذا التحليل المشوه عن الماركسية انما يتوخى الايحاء بان الثورة الكردية ليست اكثر من تحرك موضعي لمجموعة اقطاعية

معادية للشعب. وينسى الكاتب عمن يتحدث حين يشير الى مصطفى البارزاني كزعيم عشيرة اقطاعية وليس الزعيم الذي قاد الثورة التحررية للشعب الكردي طيلة نصف قرن، واستقبله الاتحاد السوفيتي لاجئاً لمدة اثني عشر عام.

ان الماركسية هي ارقى فلسفة عرفت حتى الان . ومن المؤسف انها لم تسلم من التجهيل على يد بعض المتمركسين في مقامات شتى اظهروا فيها عجزهم عن التعمق في مقولاتها، أو تقصدوا تسخيرها لاغراض لاتتلائم مع جوهرها العلمي والانساني. ايّ انتهاك للمعرفة اشد من ان يكون مصطفى البارزاني مجرد اقطاعي وصدام التكريتي حاكم ديمقراطي متنور ؟ لم يكن هذا قط من اغراض التحليل العلمي للطبقات, الذي يستهدف التنوير والتوعية لا التزوير والتعمية.

يتجاهل تقرير (زاروبيجوم) حقائق الوضع العراقي باعتماده على مصدر احادي منحاز: فالشعب الكردي لا تمثله حركته التحررية, التي تقودها الجبهة الكردستانية, وانما نفر من المنشقين على الحركة. وهذا اعتبر ((حزب)) هاشم عقراوي هو الحزب الديمقراطي الكردستاني الحقيقي, تماماً مثلما اعتبر حزب صدام حسين معبراً عن كامل طموحات و مصالح العراقيين من العرب والاكراد. وبهذه الروح يشطب التقرير على الاغلبية المعارضة لنظام صدام حسين, وهي تتألف من قوي اساسية في العراق تمثل في مجموعها فئات المجتمع العراقي وطباقاته على اختلافها. ان حركة المعارضة لهذا النظام تضم:

1- الاحزاب الكردية الارأس, وهي الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة مسعود البارزاني والاتحاد الوطني الكردستاني بقيادة جلال الطالباني والحزب الاشتراكي الكردستاني بقيادة رسول مامند وحزب الشعب الديمقراطي بقيادة الدكتور محمود عبد الرحمن.
2- الحزب الشيوعي العراقي بعضويته الممثلة لجميع القوميات في العراق.
3- الحركات السياسية الدينية التي يعود تشكلها الى اوائل السبعينات.
4- الاحزاب القومية العربية بما فيها جناح من حزب البعث.
5- تجمعات ديمقراطية مؤثرة.
6- العديد من المثقفين العراقيين. وقد شكلوا منظمة في المنفى باسم (رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين) تضم اكثر من خمسمئة عضو. وهي مع ذلك لا تستوعب جميع المثقفين المعارضين للنظام والعائشين في المنفى. فهناك العديد منهم يعمل في نطاق فردي تبعاً لقناعاته. ويعيش في المنفى حالياً اكبر شعراء العراق سناً ومكانة وهو (الجواهري) الذي يمنحه العراقيون منذ الاربعينات لقب شاعر العرب الاكبر, ويعيش في المنفى كذلك المع فناني العراق, وهو محمود صبري, وروائييه, وهو (غايب طعمه فرمان), فضلاً عن العشرات من ابرز المثقفين حيث تتشكل حالة ثقافية في المنفى العراقي موازية ومتفوقة بما لا يقاس على ثقافة الداخل المدجنة للسلطة, ترى هل يهم (سمنيخين) واقع ان هذه الرايطة تضم عشرات من ابرز واشرف صحفي العراق ، وان رئيسها الحالي صحفي برز منذ الخمسينات ، وان عشرات من الصحفيين داخل العراق يتعرضون للاضطهاد لانهم ابوا بيع ضميرهم الحر الى الدكتاورية ؟ هذا الواقع المهني يجب ان يهم (زاربيجوم) ، جريدة المنظمة النقابية للصحفيين السوفيت للوفاء بواجب التضامن مع زملاء المهنة ، او على اقل لاطلاع القارئ السوفيتي على الوضع الحقيقي

كنت اود ان اطلب من السيد (سمنيخين) ان يسأل عن عدد الذين قتلهم بيده وزير الاعلام لطيف نصيف حين كان يعمل في جهاز حنين . ثم وجدت هذا الطلب من باب الفضول . والسيد (سمنيخين) يوقع على مشروعية استعمال السلاح الكيمياوي ويعتبر قتل خمسة الآف طفل وامرأة وشايب في حلبجة بهذا السلاح مجرد عملية جراحية تسبق بناء حلبجة الجديدة . سندخل عندئذ في حوار الطرشان وسيصح علينا المثل الشعبي العراقي "عرب وين طنبورة

وين!". وقد وجدت من الفضول ايضاً اناتساءل ان كان من الممكن والمقبول في منطق العصر الحديث تبرير قتل كل هذه الجموع البشرية باخبث الوسائل واقساها لان الحكومة تريد شق طرق مبلطة وبناء قرى عصرية لا يوجد مثلها في الاتحاد السوفييتي؟

إلا ان الكاتب يرتكب مفارقة لا نملك الا ان نحاسبه عليها. فمعلوم ان البيريسترويكا نهضت على نقد الماضي, وركزت على فضح التجاوزات التي حصلت منذ عهد ستالين. ومن المفترض ان الماضي نقد لاصلاح الحاضر وليس لمجرد النقد وفضح التجاوزات لا سيما الضد—بشرية بهدف منع حصولها من جديد ومقاومتها اينما حصلت وعلى يد أي كان. وقد حظي هذا النقد بتأييد معظم مثقفي العالم من شيوعيين وماركسيين وليراليين. ولعل اكثر من فرح به نحن مثقفي العالم العربي لما يحمله من دلالات خاصة بالنسبة لما نعانية من همجية السلطة الموروثة من العصر العثماني. وكان الباعث الاكبر على تأييدنا انه يعزز نضالنا ضد السلوك القمعي لحكوماتنا. ومناط ذلك انه اذا كان قد صار من الممكن توجيه النقد ضد السلوك القمعي لزعماء نظام ينطلق بالاصل من مباديء اجتماعية مكرسة في الاساس لخدمة الانسان, فمن باب اولى اننا سنستطيع الاندفاع في مجابهة تصرفات قمعية لحكام عاديين, متهمين اساساً بالعمل ضد المصالح العليا للوطن أوالشعب, أو كلاهما معاً.

هذا يعني من الجهة الاخرى ان النقد الموجه لسلوك ستالين يستند الى مبادىء حقوق الانسان والاصول الديمقراطية في الحكم, أي انه ليس نقداً شخصياً لفرد معين أو سياسة معينة. ويسمح لنا هذا التعميم بالاعتقاد ان من ينتقد سلوك ستالين سوف يقف بالضرورة ضد أي انتهاك لحقوق الانسان على يد أي حاكم, وفي أي بلد, ومن أي اتجاه سياسي أو ايديولوجي.

قبل البيريسترويكا تصورنا ان السكوت عن حقوق الانسان, بل اطراء حكامنا الذين ينتهكونها انما يرجع الى افتقار الصحافة في البلدان الاشتراكية الى الحرية. اما اليوم فكيف لنا تفسير ان عدداً من المثقفين السوفيت لا يجدون أي مفارقة في مواصلة نقد القمع الستاليني والتعامل, في نفس الوقت, مع الجلادين الاحياء, فيذهب بعض منهم الى اسرائيل في وقت يواجه فيه الشعب الفلسطيني برنامج قتل يومي ينفذه التوراتيون الحالمون ب ((اسرائيل الكبرى التي وعدهم بها الرب)). ويجد اولئك الزوار فسحة من الوقت والضمير للالتقاء مع كبير الارهابيين اسحق شامير, المرفوض ليس فقط من معظم مثقفي العالم, بل ومن الكثير من مثقفي قومه انفسهم, وقد جسد (سمنخين), بالتالي (زاروبيجوم), هذه المفارقة حين تبني سياسة ومخططات صدام حسين واظهار هذا الرجل مثالاً للحكام المتنورين الذين تحتاج اليهم البلدان المختلفة في سعيها للخروج من ظلام القرون الوسطى.

اننا نحن العراقيين نعرف بعضنا افضل من غيرنا. ونحن بالتالي نعرف صدام حسين. وبسبب معرفتنا له فضل الكثير منا مغادرة الوطن والعيش في ظروف المنفى القاسية. وقد ناهز عددنا عشرات الالوف من المثقفين والسياسيين والناس العاديين. ولو رفع الحظر عن السفر لتضاعف عدد المهاجرين عدة مرات. ونحن لم نهاجر من بلادنا بسبب خلاف ايديولوجي أو سياسي مع حكومتنا. فقد كان لنا هذا الخلاف مع حكومات سابقة ولم نخرج مع ذلك الى المنفى. وللعلم فهذه اول مرة في تاريخ العراق الحديث يتضخم المهجر العراقي الى هذا الحد. العراقيون معروفون بمزاج مستقر. وفيما عدا الذين هاجروا بحثاً عن الرزق, فان المهاجرين لاسباب سياسية حتى عم 1963 لم يزيدوا على العشرات. ثم قفز الى ارقام قياسية ليبلغ عشرات الالوف بدءاً من اواخر السبعينات حين انفرد صدام حسين بالسلطة.

وقد قلت اننا نعرف اوضاعنا اكثر من غيرنا, وما كنا لنتحمل مشقات المنفى التي لم نتعود عليها لو اننا وجدنا فرصة ولو محدودة للعيش آمنين في بيوتنا. ان صدام حسين يمارس القتل على المزاج. وهو يتجاوز في ذلك مجرد الحاجة الى قمع المعارضة لتثبيت سلطته. ولهذا الرجل حالات جنوح تراكمت معه منذ صباه المبكر, ونحن نعرف

صباه ومنشأه اكثر من غيرنا. وقد عرفها ايضاً اقرب المقربين اليه حين اصابهم الهلع من انفراده بالسلطة بعد استقالة احمد حسن البكر فسعوا الى ابقائه في منصبه كنائب للرئيس وجعل البكر يعدل عن استقالته. وقد كلفهم هذا المسعى حياتهم, في حفلة اعدام جماعي دشن بها صدام رئاسته للجمهورية عام1979. ألم يسمع بحمام الدم هذه كتاب زاروبيجوم؟ فليس لصدام حسين مبادىء يمارس القتل بسببها. فالمبدأ الوحيد الذي يحكم سياسته هو المحافظة على دكتاتوريته. وبتحليل شخصية هذا الرجل كما نعرفها نحن, فان تشبثه بالرئاسة هو العقدة الاساسية التي يصدر عنها في كل جموحه الدموي. وقد قدر على العراقيين من العرب والاكراد ان يدفعوا ثمن هذه العقدة لما يزيد حتى الآن على العشرين سنة. فمن حقهم الامتعاض والسخط ازاء كل من يزين أو يبرر سيادة جلادهم بدل التضامن معهم على الاقل بنشر الحقيقة.

(هذه مقدمة بقلم هادي العلوي لكتاب "ميديا" الذي ترجمته د. وهيبة شوكت محمد)

الاكراد اعرق امة في هذه المنطقة التي يسميها الغربيون الشرق الاوسط . ولعلهم اسبق وجوداً فيها من اولى السامية كالاكديين . ومن المؤكد انهم اقدم من الآراميين والعرب ولا شك انهم اقدم من الاتراك اللذين لايزيد عمرهم في آسيا الصغرى على سبعة قرون . والمتعارف عليه بين الآثاريين والمؤرخين ان دولة ميديا دولة كردية . ولعلها الدولة الكردية الوحيدة التي ظهرت في التاريخ فقد خضعت كردستان بعدها لامبراطوريات اجنبية جزأتها او الحقتها بها كاملة . واستمر على هذا الحال حتى اليوم . على انها حظيت بتحديد معين لكيانها الجغرافي على يد المسلمين اللذين اطلقوا عليها اسم بلاد الاكراد وبلاد الجبال واسسوا ولاية شهرزور التي كانت اكبر ولايات كردستان فكانت مرشحة لان تصبح دولة كردية تامة الكيان لولا ان الاكراد انفسهم لم يتمكنوا من لم شتاتهم والانتظام في دولة.

وقد لاحظ القلقشندي في "صبح الاعشى". ان الاكراد شعب كبير وقوي وانهم لولا اقتتالهم لفاضوا على البلاد . ولايزال حال الامة الكردية اليوم كما كانت في الماضي موزعة على امراء الحرب والامبراطوريات الاجنبية وتتسم كردستان بسمة البلاد المحتلة الموزعة على ثلاث قوى احتلال رئيسية : ايران تركيا وعراق . ومن المفارقات التي لا تتبني لدهشة ولا تحمل على التساؤل ان يوجد كردي ايراني وكردي تركي وكردي عراقي وهم قومية واحدة وشعب واحد . ولا يشعر المثقفون من ابناء القوميات المحتلة الثلاثة الفرس والاتراك والعرب بوخزة ضمير من هذه المقاربة الشيطانية لان الشيطان يتلبس عموم ساستنا ومثقفينا المصنوعين كلهم من الغرب .

في هذا السفر الجليل الذي كتبه الاكاديمي السوفيتي دياكونوف عرضه بصدق لتاريخ الاكراد وجغرافيتهم قد يكون هو الاوسع والادق في جميع ما كتب عن الامة الكردية بعيداً عن منغصات المستشرقين واحايلهم الاستعمارية للايقاع بين الشعوب المستعمرة وتفريقها عن بعضها لتسهيل ادماجها في الغرب . وكشف عن مواقع الاكراد وبصماتهم في الاحداث التي تشمل دولة ميديا وما بعدها . وجرى تحقيقات مضنية للوصول الى مكامن تاريخ كردستان واستخراج اليد الكردية في كل ما حدث على امتداد بضعة الاف سنة قبل المسيح . وتاريخه هو تاريخ الاكراد الغابر وهو تاريخهم الفعلي . الا انه تارخة شاملة للمنطقة كلها من سوريا وساميةوحامية وآرية فهو كتاب مرجعي في هذا التاريخ المزدحم بالاحداث والاقوام. على ان المحور هو امبراطورية ميديا التي عاشت ما يزيد على القرنين وانتهت على يد الفرس الاخميني بقيادة كورش . وقد تعرضت كردستان لاحتلالات عديدة تبدأ بالاحتلال الآشوري ثم كانت نهوض دولة ميديا حائلا ضد الطامعين بالاقاليم الا انها عادت فواجهت الاجتياح الفارسي ثم اليوناني بقيادة الاسكندر ثم الروماني . الا ان الفاتحين لم يتوغلوا في جميع الاقاليم التي بقيت ازاءها مع انه خارج السيطرة الاجنبية, نعم فيها الاكراد بشيء من الاستقرار والسيادة ثم جاء الفتح الاسلامي فشمل الاقليم كله . الا انه لم يستمر في شكل احتلال او فتح لان الاكراد دخلوا في الاسلام فصاروا من

شعوب الدولة الاسلامية وفئات المجتمع الاسلامي . وتحول الصراع الاول ضد الفاتحين العرب الى صراع محلي ذو طابع طبقي اجتماعي ضد السلطة وجرى في سياق حركة المعارضة التى انتظمت فيها شعوب الاسلام بما فيها الفاتحون الاصليون – العرب .

وحركة المعارضة لها تاريخ يزيد على تأريخ تشكيل الدولة في الاسلام . وقام الاكراد بدورهم العظيم كمعارضين للسلطة الغاشمة مع مدافعين آخرين من الشعوب الاسلامية ، وكمدافعين عن دار الاسلام ضد البيزنطيين الصليبيين . ولم يتطرق كتاب دياكونوف الى هذه الحقبة من تأريخ الاكراد لانه مكرس اصلا لدراسة تأريخ ميديا واستقصاء اصل الاكراد ودورهم في التأريخ الغابر من خلال تلك الدولة .

الكتاب علمي ومتوازن في عموم معالجاته ولكن فيه مايشعر باتجاه الى تكريد المنطقة, وهكذا يفهم منه القارئ الكردي الذي يتجه بدوافع قومية ساذجة نحو التوسع في التاريخ ! ومن الضحايا الاساسيين لهذه النزعة هم السوريون . اللذين يعتبرهم القوميون العرب عرب والقوميون السريان سريان والقوميون الاكراد اكراد, ولا ادري ان كان الطورانيون الاتراك قد اخذوا حصتهم من ذلك الشعب المجهول الاصل. والنزعة القومية مضادة لعلم التاريخ كالنزعة الدينية تماما . وينبغي عدم اقحامها في برامج للبحث العلمي .

والاكراد في غنى عن هذه النزعة التوسعية التي تزجهم في عراك زائد عن الحاجة مع غرماءهم من القوميين من الشعوب المجاورة . حسبهم ان يبحثوا تاريخ كردستان بوصفه تاريخ الشعب الكردي ومن طرأ على كردستان من الغرباء سواء كانوا سومريين ام آشوريين ام يونان ام رومان ام فرس ام عرب ام اتراك . فكردستان للاكراد وما عدا الاكراد فهم اما غزاة او مستوطنون او جاليات . ولماذا يدوخون رؤسهم بتكريد غيرهم وهم الان ضحايا التفريس والتتريك والتعريب؟ ليجمعوا أنفسهم أولاً وأخيراً وهذا هو المطلوب منهم ولهم.

تفسير سطحي للقضية الكردية

رداً على رأي الحزب الشيوعي اليوناني حول القضية الكردية

الحزب الشيوعي اليوناني، حزب ثوري متمسك بالثوابت السياسية والأجتماعية للحركة الشيوعية العالمية في هذه المرحلة الصعبة الحرجة من تاريخ النضال العالمي ضد الأمبريالية والرأس المال ، وهو يشغل ساحة نضال فسيحة ليس في اليونان وحدها بل وفي المتوسط والبلقان، لكن هذا الحزب العنيد لايتخذ موقفاً مكافئاً لثوريتة العالية من قضية الشعب الكردي. وسبب ذلك معارضته لسياسات الحكومة اليونانية. وهي معارضة مشروعة بلا شك لكن بعض مفاصلها محكومة بردود الفعل.

ان الحكومة اليونانية ليست من حكومات العالم الثالث, بل هي حكومة وطنية بالمفهوم الحاضر الوطني, اعني انها غير مستعدة شأن حكومات العالم الثالث لبيع السيادة الوطنية لقاء الحكم وهي من هذا المنطلق تتصدي للعدوان التركي المستمر و تواجهه بالأعداد الكامل مع مراعاة موازين القوي ، وهي من هنا تجد نفسها في حلف مقدس مع ضحايا العدوان التركي من العرب سوريين وعراقيين ومن الأرمن وقبل هذا وبعده الأكراد بوصفهم الضحية الأكثر تضرراً بهذا العدوان، وتقدم الحكومات اليونانية يمينها ويسارها مساعدات جليلة لنضال الشعب الكردي في تركيا من أجل الاستقلال وهي حليف موثوق وقوي لحزب العمال الكردستاني و مصدر تمويل جيد له بالسلاح.

يبدو ان هذا ما يثير حفيظة الحزب الشيوعي اليوناني و يحمله على اتخاذ موقف خاطىء من القضية الكردية، و الحزب الشيوعي اليوناني من جهة اخرى يواصل تقليداً خاطئاً في الحركة الشيوعية بعد لينين يقوم على الأستهانة بالحقوق

القومية بدعوى اولوية الصراع الطبقي على الصراع القومي، وهي اولوية واردة وصحيحة بالنسبة للقوميات المستقلة السيادة في بلادها, لأن الصراع عندئذ ينحصر في الجانب الطبقي، لكن القومية المضطهدة التي تعاني عندئذ من حقوقها تضطر الى خوض الصراع القومي الى جانب الصراع الطبقي بل انها في الحقيقة تخوض الصراع القومي بالتداخل مع الصراع الطبقي في مثل هذه الحالات، فمن المشاهد ان مكبس الاضطهاد القومي يفعل فعله الطبقي ضد كادحي الامة المضطهدة التي تعاني عندئذ من استغلال مزدوج من القومية القامعة والملاك المحليين، وهذا واضح بخصوص الشعب الكردي والشعب الفلسطيني ضحيتي العدوان الأراس في منطقتنا, حيث تعيش جماهير الشعب الفلسطيني في مخيمات, بينما يعيش التجار والساسة والمثقفون الفلسطينيون في المجمعات والشقق الفاخرة وتعاني جماهير الشعب الكردي تجويع حكومته في العراق ونهب التجار المحليين، بينما يعيش في النعيم فريق من المثقفين الاكراد في الداخل و الخارج ولا يمسهم قرح ولا يجرح امعاءهم جوع.

ومن هنا كان يجب الدمج بين النضال الطبقي و النضال القومي عند الشيوعيين بخصوص القوميات المضطهدة، واعود الى المسألة الكردية كما شخصها الحزب الشيوعي اليوناني فأعتبرها من القضايا القومية التي خلقها الاستعمار و هذه اعجوبة من اعاجيب السياسة و الفهم السياسي لناضلين يفترض انهم متمرسون في السياسة وتاريخ الشعوب ، ان الامة الكردية تعيش في اقليم كردستان منذ زمن مقارب لوجود الامة اليونانية في اليونان وهم ليسوا اقلية قومية بل امة كبيرة تعدادها يزيد على ثلاثين مليون اي انهاأكثر عددا من الشعب اليوناني واكثر من الشعب التركي الاصلي اذا جردناه من اللواحق الكردية والعربية والارمنية ، ان الاستعمار يمكن ان يخلق مشكلة قومية لاقلية صغيرة كما حاول بعض المستشرقين الفرنسيين والمستشرق اليهودي السوفيتي "فيتالي نعوم كين و"خلق قومية جديدة في محافظة "المهرة"جنوب اليمن، حيث تصديت لهم في حينها وابطلت سحرهم لكنه لا يستطيع خلق امة تعدادها ثلاثين مليون .

ارجومن الرفاق اليونانيين اعادة دراسة تاريخ الاكراد وجغرافية كردستان من اجل وضع سياسة جديدة تجاه القضية الكردية فيشاركوا الحكومة اليونانية في دعم الاكراد وحربهم التحريرية المشروعة .

هادي العلوي 1998

تعقيباً على مقالة هادي العلوي : –

القضية الكردية ولعبة القوى الأقليمية

وردنا التعقيب التالي من الرفيق (نقولا غازيس) أحد العاملين في قسم العلاقات للحزب الشيوعي اليوناني الشقيق تعقيباً على مقالة الأستاذ العلوي المنشورة في رسالة العراق عدد 43 تموز 1998 بعنوان "تفسير سطحي للقضية الكردية" :

تجنباً للأطالة لا أتعرض لعدد من المقولات النظرية الواردة في المقال في مجرى طرح ما به من حجج ، بدون ان يعني ذلك قبولآ ضمنياً لها.

من الطبيعي ان يحدد الحزب الشيوعي اليوناني (ح.ش.ي) موقفآ له من باب التصدي والرد الفوري على اجراء او موقف يصدر في اي لحظة عن القوى الأمبريالية والليبرالية الجديدة وغيرها من القوى الرجعية، لكنه لا يحدد في أي حال من الأحوال أي موقف له منطلقاً من أي "حفيظة". ولا سيما أي موقف مبدئي له من منطلق "رد فعلي" ازاء أي حكومة أو قوى سياسية أخرى.

لا يستهين ال(ح.ش.ي.) بالحقوق القومية او الوطنية لأي شعب، علماً بان بلدنا يعاني من انتهاك لحقوقه وسيادته الوطنية والخضوع لسيطرة مؤسسات فوق وطنية او قومية، ولا يدعي ال(ح.ش.ي.) انه متمرس في تاريخ كل شعب, قبل المضي في عرض الايضاحات, استميح القارئ ان أقدم نبذة عن نشاط ال(ح.ش.ي.) تأييداً للقضية الكردية. فعلي الصعيد الدولي (البرلمان الأوربي والمجلس الأوربي والاتحاد البرلماني الدولي والمؤتمرات وغيرها) لم يترك مندوبوه ولا فرصة واحدة بدون شجب أعمال الأضطهاد والتنكيل والابادة التي يتعرض لها الأكراد خصوصاً في تركيا والعراق والعمل على ادانتها وعلى المطالبة باحقاق حقوقهم، فضلآ عن سفر نواب له وغيرهم الى تركيا للتضامن مع المناضلين الأكراد اثناء محاكمتهم. وعلى صعيد اليونان قام بأنشطة مماثلة في البرلمان ولدى المنظمات الجماهرية وفي اجتماعات عامة ومن خلال وسائل الاعلام وخصوصاً الحزبية (الجريدة اليومية ومحطتا الاذاعة والتلفزيون اللتان أفردتا برامج باسرها لمناضلين أكراد من تركيا أساساً)وبذل ويبذل الجهود لكي يحصل الأكراد النازحون من العراق الى اليونان، عبر تركيا، على الوضع الشرعي كلاجيء سياسي.

يحترم ال(ح.ش.ي.) ويؤيد بشدة حق كل شعب في تقرير مصيره، لذا فلم يقل أي وقت من الأوقات بعدم وجود أمة كردية ولم يعارض أبداً مطلب اقامة دولة كرديةمستقلة موحدة، مع الملاحظة ان القوى الكردية ذات الثقل ترحل تحقيق ذلك الى مستقبل غير منظور وتطالب في هذه المرحلة بحل فدرالي او كونفدرالي أو بالاعتراف بالحقوق الثقافية للأكراد في ظل نظام ديمقراطي يؤمن المساواة التامة لجميع المواطنين، يحترم ال(ح.ش.ي.) أيضاً وبكل دقة مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأحزاب الشقيقة، لذا فهو يؤيد بوضوح موقف الحزب الشيوعي العراقي الشقيق باقامة عراق فدرالي ديمقراطي موحد.

ويسري نفس الشيء بالنسبة للأحزاب الكردية الوطنية في مختلف البلدان. فبغض النظر عن أي تقدير قد يكون لديه لأي حزب كردي وسياسته، ولأي خلافات بل وصراعات كردية- كردية، فانه يؤيد بثبات الحقوق القومية للشعب الكردي في مختلف البلدان حسبما تحددها في كل حالة الأحزاب المعنية. وفي نفس الوقت يرفض ال(ح.ش.ي.) بثبات أيضاً أي نزعات شوفينية مهما كان مصدرها، وأي استعداء ضد أي أمة أو أقلية قومية في نفس البلد او أي اعداء ضد بعضها البعض. كما يصر على ان أحد الشروط الأساسية لحل أي قضية خاصة بأي أمة او أقلية قومية او غير قومية يتمثل؛ أولآ وقبل كل شيء، في قيام تعاون وثيق وعمل مشترك بين القوى التقدمية للبلد المعني مهما كانت الأمة او الأقلية القومية او غير القومية المنتمية اليها، ودفع قضية التعايش الأخوي لشعب نفس البلد في مجموعه. ومن هذا المنطلق قد يكون ال(ح.ش.ي) الحزب الوحيد في بلدنا الذي يبذل كل جهد ممكن من اجل تنمية الصداقة بين الشعب اليوناني ومجموع شعب تركيا بدون أدنى تمييز.

وبهذه المناسبة أود التأكيد على ان ال(ح.ش.ي) يتمسك بمبدأ الاحترام الصارم وعدم انتهاك حدود الدول المعترف بها دولياً، مما يكتسب أهمية قصوى في الظروف الراهنة. فمن واقع محاولة الامبريالية لفرض نظامها العالمي الجديد يتأكد ان هذا المبدأ موضع تهديد خطير، وان انتهاكه من قبل القوى الامبريالية او غيرها من القوى الرجعية على حساب أي دولة لا يتم، كقاعدة عامة، فيما عدا حالة الضم، من أجل اقامة كيان دولتين كبيرتين، بل ان الاتجاه السائد هو استغلال او اثارة المشاكل القومية او الخاصة بالأقليات القومية أو غير القومية بهدف تفتيت الدول بل والأمم، مما يشكل تهديداً جدياً لأي دولة متعددة الأمم او الأقليات القومية او غير القومية.

ان كون اليونان بلداً لا ينتمي الى ما يسمى ب"العالم الثالث" من حيث مستوى نموها لا يعني بأي حال من الأحوال ان الحكومات اليونانية بوجه عام. والحالية بوجه خاص غيرخاضعة للمؤسسات ومراكز صنع القرار الامبريالية، وانها لا تشارك في محاولة اقامة النظام العالمي الجديد الامبريالي، مثلها مثل أي حكومة تابعة لبلد ينتمي الى "العالم الثالث" (أؤكد

هنا على عبارة "تابعة" لأني لا أعتقد ان كافة حكومات هذا "العالم" بدون استثناء حكومات تابعة). وفيما يخص الحكومتين اليونانية والتركية على حد سواء، تتم هذه المشاركة، بالدرجة الأولى، بتنفيذ الاستراتيجية الجديدة لحلف شمال الأطلسي العدواني من خلال بنيته الجديدة.

لا يتوافق والواقع القول بان الحكومة اليونانية تؤيد وتدعم القضية القومية الكردية بوجه عام، اذ ان تأييدها يقتصر على أكراد تركيا دون سواهم. أما عن نوع الدعم المذكور في المقال، أي ((التمويل الجيد بالسلاح))، فمن المعروف ان الحكومة اليونانية نفسها تنفيه بشدة بل وتعتبره تلفيقاً استفزازياً من صنع حكام تركيا، الغرض منه، الكيد لها لدى حلفائها وشركائها الكبار.

ومن حيث الجوهر لا يهدف هذا التأييد مثل مواقف أخرى للحكومة اليونانية خلق بعض المشاكل لنظيرتها التركية، الى ايجاد حل عادل للقضية الكردية او ضمان الحقوق الديمقراطية لشعب تركيا في مجموعه، وانما يشكل تجلياً للتناقضات بين القوى الاقليمية، بما تنطوي عليه من نزعات للهيمنة او لبسط النفوذ ، وذلك في نطاق اعادة توزيع الأدوار التي تناط بالدول "الحليفة" التابعة للقوى الامبريالية، خصوصاً الأمريكية، في المناطق التي تدعي ان لها مصالح حيوية فيها. أما التصريحات والاحتجاجات والتحذيرات ذات اللهجة الحادة أحياناً التي تطلقها هذه القوة الاقليمية او تلك فالغرض منها ليس التصدي للتسلط الامبريالي الطاغي ومقاومته وانما الاستهلاك المحلي واحتواء الاستياء والغضب الشعبي من سياسة الامبريالية وأتباعها.

أخيراً، عندما يؤيد الحزب الشيوعي اليوناني أي قضية فانه يفعل ذلك على أساس معايير طبقية، أي من وجهة نظر مصالح الطبقة العاملة اليونانية والعالمية على حد سواء وليس من وجهة نظر مصالح الطبقة الحاكمة اليونانية وشركائها الكبار، لذا فهو غير مستعد للمشاركة في لعبة القوى الاقليمية التي تقوم بها هذه الحكومة، تلك اللعبة التي للحركة الكردية في اقليم كردستان في العراق تجربة مريرة من أحد مرادفاتها.

هذه مقدمة كتبها (هادي العلوي) لملحمة (مهم وزين) التي كتبها الشاعر الكردي (احمدي خاني) في القرن (17) الميلادي وترجمها (جان دوست)

الاكراد امة عريقة تستوطن اقليم الجبال منذ أمد سحيق وعرف الأقليم في حقبة متأخرة باسمهم كردستان وكان الجغرافيون المسلمون يسمونه (اقليم الجبال) او (بلد الأكراد) والاخير هو معنى كردستان .

ولم تتم للاكراد دولة موحدة في اقليمهم بسبب الطبيعة الجبلية التي تجعل من التعذر اقامة حكم مركزي تمتد سلطته فوق الانحاء المتفاصلة جغرافيا بموانع طبيعية شديدة الوعورة . لكن هذا الوضع لم يؤثر في بقاء الاكراد امة واحدة تحافظ على خصائص وخصال مشتركة وقيم متماثلة، وقد عاشت اللغة الكردية في هذا الوسط غير الموحد وبقيت لغة واحدة مع اختلاف لهجاتها ، الذي يشبه ماعليه اللغة العربية واللغة الصينية مع تعدد اللهجات قديماً وحديثاً . وقد تتباعد بعض هذه اللهجات فيصعب التفاهم الا بلغة موحدة هي الفصحى في العربية ، و(البوتونخوا) في الصينية . ولم يطور الاكراد بعد فصحى موحدة تكون لساناً واحداً للجميع ولغة ثقافة كما هو الحل في العربية والصينية . لان الاكراد بسبب وضعهم القبلي والجبلي لم يستوعبوا التأثيرات الثقافية للعصر الاسلامي كثيراً فينتجوا ثقافتهم الخاصة بهم كما فعل الفرس والاتراك .

وبقي الادب الكردي شفوياً حتى القرن الحادي عشر الهجري- السابع عشر الميلادي – حين قام (أحمد خاني) بثورته الثقافية الاولى في تأريخ الاكراد ، فكتب الملحمة الكردية "مم وزين " باللغة الكردية وكانت تروى شفاهاً حتى زمانه ،

وأخضعها لخياله الشعري وثقافته الصوفية، فجاءت تحمل ابداعه الشخصي كأديب كبير . وقد استهلها بالحديث عن قضية الاكراد حديثآ قد يكون الاول في تأريخ الاكراد فتساءل : **من جعل الاكراد محرومين محكومين مستعبدين بالجملة ؟** وتحدث عن فضائلهم وما اختصوا به من الشجاعة والشهامة والشيم الراقية وحب الخير وانهم لايستحقون ماهم فيه من حرمان وتشتت واحتلال اجنبي ، ودعا الاكراد الى الثورة بشرط ان يجمعوا بين السيف والفضيلة .وقال ان الدنيا مثل العروس لاتحصل عليها الا بقوة السيف المسلول ، هذا حين ينافسك عليها قوي ليغتصبها منك . والاداة الاولى للثورة هي وحدة الاكراد المعروفين بعدم استقرار علاقات الاخوة بين عناصرهم القبلية ، تلك العلة التي لاتزال تتحكم في مسيرة الثورة الكردية وتساهم في منعها من الوصول . وقد لاحظها المؤرخون العرب (كالقلقشندي) الذي قال انهم امة عظيمة ولولا تناحرهم واقتتالهم لفاضوا على البلاد . كان (خاني) يدعو الى توحيد الاكراد تحت قيادة مركزية لتحرير بلادهم وبناء دولتهم .

وقال خاني انه الف هذه الملحمة ليستنهض الاكراد من جهة ولكي يرد على الذين يقولون ان الاكراد لايعرفون العشق فليس فيهم ذو قلب يعشق ولا حسناء تعشق ! والعشق من مدارات الصوفية الارأس كما تعرفنا عليه في "مدارات صوفية "، وكما هو معروف ومشهور من اسرار التصوف .على ان هدفه ابعد من مجرد تقديم البرهان على رقة قلوب الاكراد وجمال نسائهم فقد اراد ان يؤسس للثقافة الكردية المكتوبة لتمشي في موازاة الثقافة الفارسية والثقافة العربية، وقد نجح في مسعاه وثورته فتدفق سيل الادب الكردي والكتابة الكردية طيلة القرنين الماضيين وتبلورت المعجمية الكردية والمصطلح الكردي وصار بامكان الاكراد ان يعالجوا شتى العلوم والمعارف بلغتهم ،بعد ان كانوا يعتمدون في الثقافة والادب على اللغتين العربية والفارسية. وقد كتب خاني بالخط العربي ويسره للحرف الكردي فنجح فيه . واتجاه فريق من الاكراد اليوم الى الخط اللاتيني لايرجع الى عيوب الكتابة بالخط العربي بل يأتي ضمن الموضة السائدة في تقليد كل ما هو اوربي .وكان الافضل لو رجع الاكراد الى خطهم القديم فطوروه وكتبوا به ، والشعوب العريقة لا تغير خطها بسهولة . فاليابانيون والصينيون والكوريون يكتبون بالمقاطع . والتبتيون يكتبون بالحرف التبتي والمغول بالخط المغولي والارمن بالخط الارمني والعرب بالعربي وهكذا .

انتشر التصوف في كردستان بثقافته الاسلامية المكتوبة بالعربي واتخذ بعض الاقطاب زواياهم في الجبال الكردية واشهرهم (عدي بن مسافر) الذي اقام بين الاكراد اليزيدية وهم نحلة باطنية قديمة حرف اسمه في عصر متأخر الى اليزيدية وكان (لعدي) اثر في تقديس الايزيدية للشيطان ، الذي اعاد المتصوفة اليه الاعتبار . وظهرت الطرق الصوفية في كردستان في طور الدروشة العثمانية الذي جاء بعد انتهاء عصر الاقطاب . **لكن بعض هذه الطرق تبنت المطالب القومية للاكراد**. التصوف حتى في دور الدروشة بقيت منه عناصر ايجابية تحمل على الفعل في اتجاه اهداف عادلة ، كما كان حال الطريقة البكتاشية في البانيا او السنوسية في ليبيا . وفي كردستان نهضت بهذا العبء الطريقة النقشبندية التي قادت الثورة الكردية بين الثلاثينات والسبعينات من خلال القطب النقشبندي الملا مصطفى البارزاني، وقد ضعفت الثورة الكردية في كردستان الجنوبية – كردستان العراق – بعد الملا مصطفى حين استلمها الحزب الذي اسسه لتأطير الثورة وهو حزب مستحدث مجلوب لايعبر عن التقاليد الكردية وقادته المثقفون في الغرب وموالون للنظام الرأسمالي العالمي . ولا يحملون قلوب المتصوفة بصلابتها وشجاعتها المؤنسنة بالحب والشفافية الانسانية.

احمد خاني قطب صوفي في عصر الدروشة . احاط بمذاهب الصوفية وتشرّبها وعندما كتب هذه الملحمة بدا كما لو انه يستعيد خطأ مقطوعا انتهى (بعبد الكريم الجيلي) في القرن التاسع إلا انه مدين في الكثير من تصوفه الى صوفية الفرس في عصر مابعد الجيلي . وهؤلاء غلب عليهم التصوف الاهتيامي الملائم للاهتيامية الفارسية في عشقها للجمال البشري وجمال الطبيعة وهم عشاق في جملتهم يكتبون عن الحب الالهي من خلال الحب الانسي ويتابعون اهتيامية ابن الفارض

ضمن الطبيعة الفارسية بجمالها الناطق بالفن . يبدو احمد خاني تلميذا لفريد الدين العطار وحافظ الشيرازي اكثر مما هو لابن العربي الفيلسوف، في الغالب عليه هو الادب والاحساس الفياض بالجمال كما تعرضه لوحات الطبيعة الكردية التي تجمع بين صفات الجمال وصفات الجلال: سهول خضراء ووديان عميقة مهيبة وجبال شامخة مكسوة بالغابات وعيون دافقة بالماء المعين .

وقد جاءت الملحمة زاخرة بالجمال الكردي الناطق بالفن غناء وموسيقى ورقصاً ، وعرضت الملحمة لوحات احتفال صاخبة بمعالم الفن والجمال ، والترف المبالغ فيه تذكرنا بالملحمة الصينية "المقصورة الحمراء"وقد نقف على حوار بين طبيعة الصين في بعض الحانها وطبيعة كردستان من حيث تداخل السهل والجبل والخضرة والارتفاع مع الوديان العميقة والعيون المعينية . وتتأطر (جماليات خاني الاهتيامية) بالجو الصوفي فلا تفلت منه فالكاتب وفيّ لاساتذته ومذهبه الذي يصبح عنده منحى استشعار واستذكار وتكوين روحي مشبع بالعشق، لقد كتب الملحمة ليبرهن للفرس ان الاكراد امة عاشقة كالامة التي عبر بلسانها ابو فراس الحمداني :

نحن قوم تذيبنا الاعين النجلُ على اننا نذيب الحديدا

وتضمنت الملحمة مفردات المذهب الصوفي بمرتبته (القطبانية) فدافع احمد خاني عن ابليس وبرّر عدم سجوده لآدم لان الله اخطأ في اعلاء شأن آدم قبل ان يظهر منه امر عظيم يستحق عليه الاعلاء وابليس من جانبه يأبى السجود لغير الله اي السجود للبشر . على ان خاني يعود في فصل آخر من الملحمة فيدعو الله الى تخليد ابليس في النار ليفتدي به البشر اي ان يدخل النار وحده ولا يدخلها احد من الناس . ويصدر خاني عن محبة الخلق وان شفقت عليهم التي تمأسس عليها التصوف، فلا يرى فرقاً بين الناس بسبب معتقداتهم

الخلق كله اولاً وآخرا مؤمناً وكافراً

اصبح مظهراً لعظمتك وربوبيتك

وقال كما قالوا ان الوجود مسخر كله للانسان وانه مركز العالم وغايته، وذهب الى وحدة الوجود فخاطب الحق قائلاً : (لا يمكن أن تأخذ حيزاً من المكان ولكن تتوطن في مخلوقاتك).

الحلول في الموجودات كما قال (تشوانغ تسه) وعبارة خاني "التوطن" جديدة على الادب الصوفي الذي يعالج وحدة الوجود.ويتجلى الله في وجوه الحسان نوراً وفي قلوب العشاق ناراً. وجمال الله هو الذي زين وجوه المحبوبات وجعل العشاق ينجذبون اليهن لان فيهن تتمثل جاذبيته السماوية, فا الله هو الذي ابتلى (برويز) بحب (شيرين) و(قيس) بحب (ليلى) و(مم) بحب (زين). وصنف الفتيان العاشقين الى مرايا جمال الذات والفتيات المعشوقات الى مظاهر انوار الصفات. واستند الى هذه الحيثية في انكار الشذوذ الجنسي لان الحب علاقة بين الذات والصفات ولا يكون بين الذات والذات او بين الصفات والصفات. وشرّط الحب بالتروحن وميز (العاشق) عن (العابث) فبعض المحبين يحبون عن مصلحة وهؤلاء ليسوا محبين ومنهم من يسعى للوصال وهؤلاء محبو الجسد ومنهم من يختار الالام والعذاب الروحي الذي هو نعيمه الحقيقي وهذا هو الحب الصوفي واصحابه هم العارفون.

واستناداً الى هذا التصنيف جعل حب (مم و زين) حباً اخروياً لادنيوياً . وفي الملحمة عند هذا المسلك عنصر تعويض لاهوتي وقع فيه احمد خاني الذي حافظ على صلته بالدين رغم تصوفه. فبعد ان روى المصائب التي انصبت على (مم و زين) من الحاكم الذي فرق بينهما والقى مم في السجن فتح لهما فصلاً جديداً في الأخرة فتزوجا وعاشا في نعيم الجنة. وجعل مكايد الشرير (بكر) مقصودة لايصالهما الى الأخرة بعد ان يتسامى بهما العشق فيرفعهما الى السماء . وقدم اثناء ذلك تأويلاً دينياً لمقتل الشرير (بكر) على يد (تاجدين) صديق (مم) فجعله مثل قتل الولد في قصة موسى والخضر.

والمتصوفة لايساوون بين الحالتين. ف (بكر) شرير متآمر من اعوان الدولة ، الولد بريء قتله الخضر لئلا يكون سبباً في افساد والديه. وجريمة قتله غير مبررة في اي قانون سوى القانون الديني الذي يقيس حياة الانسان بالصلاح والايمان.

وابتعد خاني كثيراً عن خط (التصوف الاجتماعي) فتحدث براحة ضمير عن (زين) الاميرة الحسناء التي تخدمها مئتا خادمة وتتولى تزيينها مئة جارية .. وكان المطلوب ان يتحدث عن الفتاة الكردية الفقيرة التي لا تملك ما تستر به جسدها او تسد جوعها. وهذا كان بتأثير التصوف الفارسي بأهتياميته القريبة من جماليات القصور والبعيدة عن معاناة الجياع. على انه **لم يتجرد تماماً من عقيدة الفقر الصوفي فكتب ضد الميراث واعتبر الوارث حاوياً لمال لم يتعب في جمعه ودعا اصحاب الاموال الى انفاقها في وجوه البر وعدم توريتها**.

مهما يكن فانا لا اريد من احمد خاني ان يعود قروناً الى الوراء ليتمثل الحلاج او الكيلاني فقد نشأ في عصر الدروشة العثمانية ولما اراد التخلص منها لجأ الى التصوف الفارسي فكان من جملة العشاق. **وانما تميز بوعيه القومي فحمل لواء الثورة على غاصبي بلاده ومتعبدي شعبه , فهو (ابو الثورة الكردية) كما هو(أبو الثقافة الكردية) وله دَين في عنق الاكراد يزيد عن ديونهم الفادحة التي يدفعونها يومياً لزعمائهم**.

لم تحظ (مم وزين) بترجمة عربية متقنة وكاملة حتى ظهور هذه الترجمة التي اجراها المريد الكردي (جان دوست) نجل الشيخ (ملا بشير الشيخ صالح) و تضمنت النشرة الجديدة مقدمة دراسية للمترجم وارفقت بشروح وافية لغوامض معانيها ورموزها دلت على تمكنه من الثقافة الصوفية. وبهذا الظهور الناجح تكون الملحمة قد توفرت للقاريء العربي مستوفية شروط النقل الفني الصادق بما يجعلها نصاً عربياً مبيناً كما يقرأ أي نص عربي أصيل. والقاريء العربي في حاجة لقراءة هذه الملحمة بعد ان قرأ الملاحم الاجنبية المترجمة عن لغات اوربا وهي اقرب اليه منها لانها داخلة في ثقافته الاسلامية المشتركة كما في ادب المنطقة الحضارية الواحدة التي تضم الشعوب الثلاثة الكبرى: الفرس والكرد والعرب. وسيقرأها العربي كما يقرأ (الف ليلة وليلة) وملحمة (جلجاميش) و (كلستان) و(الشاهنامة). ومن حقها ان تأخذ مكانها مع هذه الروائع فما هي بأدني منها مدى ولا اصغر شأناً بل هي نوارة زاهية في خمائل ادبنا الحي تفغم الانوف بالطيب وتملأ العيون بالضوء والقلوب بالمحبة ومن حق احمد خاني ان يعرفه القاريء العربي ويضعه في نفس الموقع الذي يتبوأه الجاحظ وابو حيان و المعري والمتنبي.

وإحقاقاً لهذه الغاية قامت دار الكنوز الادبية بافقها التقدمي والوطني المفتوح للمساهمات الجليلة بنشر مم وزين لتعميمها عربياً. ولاشك انها ستحظى بعناية جمهورنا القاريء بحيث تتكرر طبعاتها اسوة بشقيقاتها اللواتي سبقناها الى قلوب القراء.

دمشق الشام.

آيار 1997.

هادي العلوي

في الذكرى (75) لتأسيس الجمهورية التركية :-

عقد حزب يساري في تركيا مؤتمراً تحت عنوان (الغرب والاصولية) فوجه رئيس المؤتمر الدعوة الى الاستاذ هادي العلوي للحضور في هذا المؤتمر فكان الجواب هذه الرسالة .

السيد دوغان دوبار المحترم

تسلمت دعوتكم الكريمة للمشاركة في الندوة العالمية التي ستنعقد في الذكرى الخامسة و السبعين لتأسيس الجمهورية التركية تحت عنوان "الغرب والأصولية" وأعتذر عن المشاركة في هذا المؤتمر للأسباب التالية:

1) **إني مؤيد لحق الشعب الكردي في الاستقلال وإقامة دولته المستقلة في كردستان الموحدة بعد إنهاء الاحتلال التركي والإيراني والعراقي لهذا الإقليم. وأنا أعمل حالياً مع الثوار الأكراد بز عامة حزب العمال الكردستاني. وشعاري في عموم الشرق الأوسط هو: إزالة دولة إسرائيل وإقامة دولة كردستان. لكي تعود فلسطين إلى أهلها العرب وكردستان إلى أهلها الأكراد.**
2) **إني أدعو إلى انسحاب االقوات التركية من قبرص وترك الجزيرة لأهلها اليونانيين على أن تتمتع الجالية التركية هناك بحقوق الأقلية.**
3) **إنني أدعو إلى إعادة الجزء المقتطع من أرمينيا الأم. وكنت أعمل مع مناضلي جيش التحرير الأرمني وأقدم لهم الدعم الإعلامي والأيديولوجي.**
4) **إنني أناضل ضد المشروعات التركية على نهري دجلة والفرات وأعتقد أن من حق العراق في ظل حكومة وطنية مقبلة استعمال القوة لإيقاف هذه المشاريع التي يخطط لها الإمبرياليون الغربيون وتمولها السعودية وبلدان الخليج كجزء من المخطط الغربي لتدمير العراق.**
5) **إنني أؤيد إعادة لواء الأسكندرونة إلى سوريا.**
6) **إنني لا أتفق معكم في التشنيع على حزب الله اللبناني واعتباره تابعاً للموساد والمخابرات الأمريكية فهو القوة الوحيدة في الوقت الحاضر التي تقاتل الإسرائيليين. ولكي تكونوا منطقيين وعقلاء كان يجب عليكم نقد المنظومة الأيديولوجية لحزب الله وليس تشويه سمعته السياسية كمنظمة وطنية. وأذكركم بالمفهوم اللينيني للجبهات الوطنية ووجوب اتخاذه أساسا للموقف الصحيح من الإمبريالية وقضايا التحالف.**

يبدو واضحاً من هنا انه لاتوجد نقاط التقاء سياسية بيني وبينكم. وإنما توجد علاقة أيديولوجية بأعتبار كلينا نؤمن بالماركسية اللينينية. والمعول في العلاقات النضالية على مبادىء الصراع الطبقي ضد الإقطاع والرأسمالية ومن أجل الكادحين فعلاً لا شعاراً, و على مبادىء النضال التحرري ضد الإمبريالية والصهيونية والماسونية العالمية. ويتركز نضالي الطبقي في الوقت الحاضر على تأسيس شيوعية شرقية هي التي أسميها شيوعية القاعدة. وهي التجربة التي نجح الشيوعيون الصينيون في إقامتها وأنجزوا بفضلها تحرير وطنهم من الاستعمار والرأسمالية ووفروا أسس الرخاء للمليار نسمة.

وأنا أناضل ضد الانحراف الحالي في السياسة الصينية وأحرض الصينيين على العودة إلى شيوعيتهم ورفض الطريق الرأسمالي.

عرب العراق هم الاكثر تسامحاً مع الاكراد*

بقلم/ هادي العلوي

ليس الأكراد هم الذين يتعاملون مع الغربيين وقادتهم الاميركيين، بل الذين يتعاملون معهم هم الزعماء الاقطاعيون وامراء الحرب والمثقفون الفاسدون. اما الشعب الكردي، فهو ابن الاسلام والحضارة الاسلامية ويستحيل على هذا الغرب أن يتعامل معه. والشعب الكردي شعب مشاعي بروليتاري، وهو بالتالي معاد للشعوب الغربية المتسلطة على خيرات شعوب العالم الثالث والتي تبني سعادتها على شقاء البشرية.

علة الأكراد في زعامتهم الذليلة التي لا تجد تحققاً لوجودها وماهيتها الا بخلع الاحذية في قاعات وزارة الخارجية الاميركية ولا علاقة للعرب بهذه الاشكالية الا في ما يخص كردستان الجنوبية المسماة كردستان العراق وهي الاصغر من بين الاقليمين الآخرين كردستان الشرق اي كردستان ايران وكردستان تركيا الشمالية. وزعامات اكراد ايران متأمركة هي الاخرى، وقد نشطت مع الثورة الايرانية للتشويش عليها وادت خدماتها المجانية للامبريالية في الحرب ضد الجمهورية الايرانية الوليدة، وكانت الحركة الكردية في ذلك الصقع متوقفة، فانفجرت مع انفجار الثورة الايرانية لا لتتكامل معها بل لتضر بها نيابة عن الغربيين لا اقول هذا تزكية لموقف الفرس الشوفيني من الاكراد وانكارهم حقوقهم بل لكشف حقيقة النزعات الاقطاعية الكردية.

وفي كردستان تركيا يناضل حزب العمال الكردستاني بالسلاح مسبباً الرعب ليس فقط للكماليين بل لأوليائهم الغربيين. لكن (عبدالله أوجلان) الآن يتوسل الى الاميركيين لكي يتفاوضوا معه مقدماً لهم البراءة تلو البراءة من تهمة الانفصال وتهمة الشيوعية. يريد ان ينضم الى القافلة التي سبقته الى وزارة الخارجية الاميركية .

ولا أدري ان كان الزعماء الاكراد يدركون ان الغرب لن يعطيهم شيئاً فهو لا يمكن ان يؤسس دولة اضافية لشعب مسلم. وان كان ضامناً الآن ولاء الزعماء ومطمئناً الى ان هذه الدولة لن تخرج عن وصايته، فهو لن يأمن تقلبات المستقبل . بعد ثمانين سنة من الحكم الماسوني الصهيوني للكماليين يظهر حزب الرفاه بوصفه اكبر الاحزاب يهدد الكماليين في عقر دارهم. هذا فعل الاتراك وهم الاقل اندماجاً في الاسلام وآخر شعب الاسلام دخولاً فيه، بل والذين كان دخولهم فيه بداية الخراب، فماذا يقال عن شعب صلاح الدين, مهما يكن فالعرب ليسوا مسؤولين عما يفعله الزعماء من كردستان ايران وكردستان تركيا.

لنتحدث عما يخصنا. ينبغي التفريق بين موقف عرب العراق وعرب البلدان الآخرى من القضية الكردية. فالعرب العراقيون اقل تعصباً ضد القوميات غير العربية، وقد حصل الاكراد على الاعتراف بقوميتهم ولغتهم وثقافتهم في النظام

---

*

(نص ينشر للمرة الاولى وهو رد على سؤال وجهه الى هادي العلوي قبل اسابيع من رحيله، الصحافي السوري ابراهيم ابراهيم) والسؤال هو:

((الاكراد يتعاملون مع الغرب والاميركيين اكثر من تعاملهم مع العرب))، هذا الرأي نسمعه كثيراً من بعض الاوساط السياسية والثقافية العربية وفي المقابل يبرر الاكراد هذا التعامل ان وجد (وهذا ما ينفونه دائماً) بتخلي العرب عنهم وعدم استيعاب الانظمة السياسية العربية لقضية الشعب الكردي كقضية كيان قومي.

ما هو تقويمك لهذه المعادلة السياسية الكردية- العربية والتي باتت تشكل خطراً على الامتين الكردية والعربية، وبالتالي ما هي آلية اعادة الثقة بين الشعبين، وانت صديق للاكراد؟").

الملكي. واستفاد الاكراد من جو التسامح، فأسسوا احزابهم القومية وتعاونوا مع احزاب المعارضة واحياناً مع ظهور الحركة الشيوعية التي اقرت في وقت مبكر حق تقرير المصير لاكراد العراق.

وبقي حق تقرير المصير حتى الانفصال وتأسيس دولة في كردستان العراق لتكون نواة لدولة كردستان الكاملة، الحزب الشيوعي العراقي هو الوحيد الذي اثر في هذا الحق فحزب (تودة) لم يتبن الحقوق الكردية لقوة النزعة الفارسية في صفوفه. وكذلك الحزب الشيوعي التركي. ولا اتذكر قصيدة (لناظم حكمت) ينتصر فيها للاكراد كالقصائد المدوية التي كتبها شاعر العرب الاكبر في العراق (محمد مهدي الجواهري).

لاتختل المعادلة بما تفعل السلطة المركزية لبغداد، فجميع الحكومات التي اضطهدت الاكراد اضهدت العرب ايضاً بما فيها حكومة عبدالكريم قاسم. كان وضع الاكراد مثالياً في السنة الاولى لثورة 14 تموز كما كان وضع العراق العربي في ظل تلك الثورة، فلما غير عبدالكريم قاسم سياسته اضطرب الوضع كله واصطلى الاكراد والعرب معاً في جحيم القمع وسوء الادارة وتسلط الفاسدون على اجهزة الدولة, وأتت حكومة صدام حسين التكريتي استثناء من هذا الوضع، الا في جهة الكبح بوصفها حكومة عصابة تحقق وجودها وماهيتها بالاستزلام والبلطجة ولا تعرف معنى العمل السياسي الخالص.

ان قيام حكومة وطنية في العراق يدعمها الشيوعون او يديرونها بشكل من اشكال ستضمن الفيدرالية كتمهيد للاستقلال و أقامة جمهورية كردستان المستقلة وعاصمتها اربيل. وسيكون على الحكم الوطني العراقي ان يتدخل لمنع وقوع الجمهورية المستقلة في ايدي عملاء الغرب وامراء الحرب والمثقفين والخونة. وهذا طموح سأناضل بنفسي لتحقيقه ضمن شروطه المتكاملة هذه.

لاخوف اذن على الاكراد من عرب العراق انما الخوف عليهم من العرب الآخرين، وهنا يواجه الاكراد وضعاً شبيهاً لوضعهم مع الفرس والترك ويقصد بعض القوميين العرب جبهة المقاومةهي ضد الاكراد وحقوقهم وهؤلاء القوميون العرب كسائر القوميين في الشرق يتخذون اعداءهم من الجوار القريب ونضالهم يتحدد في الساحتين الفارسية والكردية باعتبار الفرس والأكراد اعداء العرب التاريخيين، ويخرج الاتراك من هذه المعادلة لان عروبة بعض القوميين العرب هي من عروبة تركية نسج خيوطها الكاتب التركي (ساطع الحصري). كذلك يخرج الغربيون الذين يشكلون مصدر الهام لهذا المثقف القومي العربي بوصفه نتاج الثقافة المترجمة. ومعروف ان الفكر القومي في عموم الشرق مأخوذ من الفكر الايطالي والالماني والفرنسي،ومن هنا ولاء القومي للغرب وعداؤه للقوميات الشرقية وقد اعترف بعض القوميين العرب باسرائيل ودخلوا معها مفاوضات سلام جاعلين من السلام خيارهم الاستراتيجي، وهذا يعني اعتبار حيفا ويافا والقدس العربية والناصرة وعكا مدناً اسرائيلية. بينما يصر هؤلاء القوميون العرب على اعتبار السليمانية واربيل ودهوك مدناً عربية ويضيعون كردستان في خريطة الوطن العربي .

يبدو لي ان هؤلاء قد عوضوا عن استسلامهم لاسرائيل واميركا بطلبهم من الاكراد الاستسلام وانهم يقرون بدولة اسمها اسرائيل بينما تتشنج صدورهم ويسيل العرق من جباههم اذا حدثتهم عن دولة كردستان, وللاسف ان العداء للاكرادوالتنكر لحقوقهم لا يقتصر على بعض القوميين، فالعديدمن المثقفين العرب غير العراقيين تنكروا للحقوق الكردية ويعتبرون الاكراد اقلية قومية مشاغبة تعمل ضد عروبة العراق. ويشمل ذلك حتى الماركسيين منهم.

وهذه الندوة التي عقدت اخيراً في القاهرة وسميت "الحوارالكردي- العربي" استبعدمنها اصدقاء الاكراد وحلفاؤهم من المثقفين العرب العراقيين. لم تخرج الندوة بالنتيجة نفسها وهي وحدة العراق العربي التي يبغي سيطرة العرب على اربيل والسليمانية والاستمرار في تعريبهما، وقد شارك امراء الحرب الاكراد في الندوة ووقعوا على جميع قراراتها, اننا في حاجة الى ندوة حوار حقيقي يشارك فيها الاكراد الوطنيون والعرب الاميون للخروج بقرارات جديدة تنصف الاكراد وتشكل صورة جديدة للعلاقة التاريخية بين الامتين:العلاقة القائمة على حقوق السيادة.

براءة إلى أطفال كردستان

هادي العلوي

ليس من المعقول أبداً، وليس من المنطقي أبداً، أن يستمرَّ هذا النهرُ من الدمِ في الجريان، دون أن يسعى أحدٌ لتسكيره. أي عشق للقتل يتلبس هذا الرجل، الذي لم يعد قادراً على العيش خارج هذا النهر؟ حتى كأنّ السلطة لم يبقَ لها معنى، سوى تحرير مراسيم الموت، بلا حدود، وبلا سبب، وبلا هدف.

ان أي قاتل محترف، جائع، مريض، قد يمرّ بفترة استراحة، يتكلم فيها مع نفسه، وربما يطرحَ عليها سؤالاً عن بعض من اختارهم للقتل، ان كان قد أحسن الاختيار. لكن هذا القاتل/ البدعة، لايريد أن يستريح. يرفض أن يأخذَ إجازة، يطرح فيها على نفسه هذا السؤال.

ان الدفاع عن السلطة في العالم الثالث، يستوجب القتل، لتثبيتها. وهو قد قتل من الناس مايكفي، لتثبيتها طيلة عشرين عاماً، ومع ذلك، فهو لم يتوقفْ عن لعبة الموت. صار وجوده في الحكم يترتكز في معنى أن نهرَ الدم، يجب أن لاينقطع عن الجريان، لأن انقطاعه، يجعل سلطته بلا معنى.

أباد من رعاياه، في المدة مابين 1968ـ 1980 قرابة عشرين ألفاً، معظمهم بوسيلته المفضلة: التعذيب، الذي يشمل أقرب خلصائه. تقول الروايات، أنه اعدم "ناظم كزار"، مدير أمنه العام، نشراً بالمنشار، لأنه تحداه في المحكمة الخاصة. وتقول أخرى، أنه سلق وزير صناعته "محمد عايش" في طنجرة نحاس (صفرية)، لأنه تجرأ عليه في محكمة مماثلة. والخيال الشعبي، حين ينسج هذه الصور، إنما يستند إلى أرضية، هي التي تفسّر لنا معظم مانقرأه في التاريخ القديم والحديث من الأمور الخارقة، فهي ليست مجرد حكاية، يتناقله الناس، دون مضمون أرضي.

ومن الإيرانيين مليون ،في حرب كلّفت جيشه نصف مليون ضحية. كثير منهم، أعدمته فرق الإعدام العاملة وراء الخطوط، بتهمةِ تقصيرٍ، أو جُبْنٍ، أو تراجعٍ.

واليوم، وقد سكتتِ الجبهة الإيرانية، تتوجه الفيالق إلى كردستان, الجيش العراقي هناك، معلناً عن حضورٍ بنفس الكثافة. ونفس المعدات. ونفس الطريقة في القتال. دليل على أن اندفاعه في تلك الجبهة، لم يكن بسبب معنويات خاصة، نسبها إليه أنصار الدفاع عن الوطن من العراقيين. فهاهو يواصل في كردستان حروبه الإجرامية بكل بشاعتها. كنت أقول لهم: "ان هذا الجيش، سيقوم بنفس المهمة حية، حين يكلف بالهجوم على بيوتكم".

ان مايجري في هذه الأيام، يتحدى الخيال، ولايعبّر عنه بقاموس. أشعر بالعيّ، وصعوبة الكلام. أبحث عن مفردات مطابقة، وتتعذر علي. صدقوني، أني بحثت، لعلي أجد مايساعدني على تحرير وصف لِما يجري في كردستان العراقية، فلم تسعفني اللغة. إن الافادات التي أدلت بها منظمة العفو الدولية، وبعض الحكومات في أوربا، قد عبّرتْ عن الدهشة. غير أنها لم تدخل في عمق المفارقة: كيف يكون هذا الجيش؟ كيف يكون هذا الرجل، الذي يعطي الأوامر؟ إن الجنود العراقيين، يجتازون في هذه الساعات الحدودَ التركيةَ، ليصبّوا حِممَ مدافعهم على مخيمات اللاجئين الأكراد. هل سمع أحدٌ بهذا من قبل؟؛ ان اللاجئين ما أن يجتازوا حدود بلادهم، حتى يصبحوا آمنين بحكم الأعراف الدولية. أما ملاحقتهم وراء الحدود، وهم مجرد لاجؤون، وبعد أن يكونوا، قد سكنوا الخيام لإستكمال إبادتهم، فهذا من خصوصيات جيشنا وقائده العام. لقد أمستِ الهمجية التركية بعراقتها في العدوان على شعبها، والشعوب المحكومة بها، ملا لهؤلاء النازحين. ولولا جبن هذا الجيش وخوفه من الأتراك، لكانت المخيمات الكردية، قد إنمّحت من الوجود الآن.

يهجم الجنودُ العراقيون على القرى الكردية، لينفذوا خطط إبادة منظمة. كما تقول حرفياً منظمة العفو الدولية في موقف استثنائي، خرجت به على لغتها الإنجليزية المحايدة. هذه القرى الوديعة، البسيطة، المتصوفة في زوايا جبالٍ، طالما فاضت على العراقي باللبن والعسل، واستقبلته بنداء "كاكه"، الذي يعني عند الأكراد، أنك آمنٌ على نفسك ومالك وكرامتك الشخصية. فالكردي العادي، هو مثل سفوحه الخضراء، لايصدر عنه إلا الطيّب، حتى لصوصهم وقطّاع الطرق منهم، يملكون من القيم الأخلاقية، ما لا تملكه أكثر الجيوش تحضراً.

يمسحها الجندي العراقي بحذائه المحمّل بالغاز السام، ثم يجمع مايتبقى بها من الأطفال والأمهات والجدات، حتى يتمتع برؤيتهم، وهم ينامون كالفسائل المقطوعة تحت أخامص بنادقه الرشاشة. لم يتردد الجندي عن أداء هذا الدور. لم يأخذه الندم. ولم يسأل الطيّار نفسَه، على من يرمي قنابله الكيماوية؟ ناهيكم عن أن يفكر بالنزول بطائرته في بلدٍ آخر، لكي يكتسب الجنسية البشرية، ويعلن للعالم حقيقة مايجري في هذا البلد العجيب. كلا، أبداً. بل أقولها عن تثبّتٍ ـ ونحن أبناء قرابة واحدة، كما يقول المثل العراقي ـ انه سيعود بعد أن يفرغ حمولته على غرف نوم الأكراد، ليحدّث زوجته، أو عشيقته عن بطولاته لذلك اليوم.

أيها الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة، على فراشه، أو في ساحة لعبه، هذه براءتي من دمك أقدمها لك. معاهداً إياك، ألاّ أشرب نخب الأمجاد الوهمية، لجيوش العصر الحجري، أقدمها لك على استحياءٍ، ينتابني شعورٌ بالخجل منك، ويجللني شعور بالعار أمام الناس، أني أحمل نفس هوية الطيار الذي استبسل عليك. وليت الناس أراحوني منها، حتى يوفروا لي براءة حقيقية من دمك العزيز. أنا المفجوع بك. الباكي عليك في ظلمات ليلي الطويل. في زمن حكم الذئاب البشرية، لم نعد نملك فيه إلا البكاء.

اقبلْها مني، أيها المغدور، فهي براءتي إليك من هويتي.

جريدة السفير اللبنانية

من ينابيع الحكمة الشيوعية

يتوسم العراق اليوم بوضع فريد في المنطقة العربية حيث يتسابق فريقاً الحكم والمعارضة على مبايعة الدول الإمبريالية الثلاث أمريكا, بريطانيا, وفرنسا, أو صياء على مصير البلاد وسيادتها ومصالحها الوطنية. ويظهر الفريقان كلاهما استعدادات غير محدودة للبذل مقابل احتفاظ الفريق الأول بالسلطة. أو حصول الفريق الثاني عليها. وتتساوي أطراف المعارضة كما تتساوي اضلاع المربع في هذا الشأن فلا يكاد يشذ عليها إلا أصوات قليلة متفرقة إلى حد يمكن القول معه ان في العراق اليوم "أقلية وطنية" لعلها ستطالب يوماً ما بحقوق الأقليات ومنها احترام مشاعرها نحو سيادة العراق وكرامته الوطنية ومصير رافديه إلى غيرها من امور تصبح من عقائد هذه الأقلية الناشزة على الأجماع

قلت تتساوي الأطراف....فاليمين القومي باع وانتهى. واليسار الشيوعي يؤدلج لإنتهاء عصر الامبريالية ومجيء دولة الأمم المتحدة. والأكراد مشغولون بتثبيت أركان دويلتهم الأطلسية... والحركات الأصولية الطائفية تشق عصا الطاعة على الخميني وتسفه قناعات حزب الله وهي تعلن انتماءها الصريح إلى المعسكر الأمريكي السعودي جاعلة من الشيعة الذين تحملوا أعباء ثورة العشرين ضد بريطانيا اتباع خلّص للامبراطورية الأفلة ووريثتها الرعنا.

من بين"الأقلية الوطنية" المتمسكة بثوابت النضال الوطني الضد امبريالي يتعالى صوت القائد الشيوعي زكي خيري محذرا من التفريط بالمباديء الوطنية التي ناضل العراقيون في سبيلها وتحت رايتها منذ ثورة العشرين, والتي اصبحت منذ الأربعينات ملاك الحزب الشيوعي وجوهر وجوده قبل أن تحل (البرسترويكا) بالعالم الشيوعي مع ما جلبته من كوارث كان

إحداها وأشقاها اعلان التخلي عن الكفاح ضد الامبريالية باعتبار ذلك وهما من أوهام الماضي واخطائه التي يجب تصويبها في ضوء التفكير الجديد للحسن بن علي.

كنت قد أوردت الى الاستاذ زكي خيري رسالة تعرضت فيها الى هذه الاوضاع الشاذة في المعارضة العراقية والحركة الشيوعية العراقية , ووردني جوابه[1] في خطاب مطول تناول اموراً اساسية كبرى مما يعتمل في ساحة العراق والساحتين العربية والاممية . ولخطورة ما ورد فيه اقترح عليه نشره في حريته فوافق على النشر بعد حذف ما ارتاى حذفه منه مما يندرج في مجرى الخطاب الشخصي الذي لم يجد ضرورة لإيصاله إلى الجمهور.

ولابد من تعريف بهذا القائد الصامد قبل إيراد نص الخطاب...

عاصر زكي خيري تأسيس الحزب الشيوعي العراقي على يد يوسف سليمان (فهد) وكان من رفاقه الأصغر سناً. وهو اليوم ابن القادة الشيوعيين الأحياء (83 سنة) وخلافا. للكثير من قادة الحزب. أمضى معظم ايامه داخل العراق فلم يغادره إلا مع موجة النزوح الجماعي التي حدثت عام 1979 فراراً من مذبجة جماعية كانت تنتظر النازحين.. وتوزعت حياته في العراق بين النضال في مواقع العمل السري ولم يقترب من مواقع العمل العلني إلا في واحات عابرة. وينتمي زكي خيري الى عائلة برجوازية متوسطة, وقد بين لي في لقاء معه انه لم ينضم الى الحزب الشيوعي بدافع طبقي خالص انما لغاية وطنية على الأكثر وانه اختار الحزب الشيوعي لهذه الغاية لأنه اي الحزب تصدر النضال الوطني ضد الأستعمار البريطاني ومن بعده الامريكي.

لكن زكي خيري تمسك بقضية الشيوعية كحل وحيد اوحد لازمة الانسان في عالم رأس المال المتماهي بالنهب والعدوان والجريمة في المتروبول كما في التوابع. ورغم منشئه الغير بروليتاري فقد اتشح بأخلاقية زميتة وعاش حياة شيوعية نظيفة قدم فيها غرار ملموس لقائد شعبي تتوحد لديه الفكرة الشيوعية مع نمط الحياة الشيوعي بعيداً عن اقطاعية السلوك السائد لدى أغلبية السياسيين في الحكم اوالمعارضة. واشتمل إلى ذلك على نصيب وافر من الثقافة يضعه في عداد أدباء العراق وكتابه المرموقين. وإن يكن إنتاجه الثقافي قد انحصر كله في قضية الحزب فلم تصدر له اعمال شخصية تتوضع في عداد الفعل الثقافي المتخصص,بينما يكرس بدوره اندماجيته المتقلبة كمناضل لا ينفصل مزاجه الفردي عن تكوينه السياسي. ويبدو لي على أي حال أن ثقافته المتقدمة هذه قد ساهمت في الحد من تأثيره السياسي إذ غمرته بالمثل الشيوعية المكتوبة فعمقت فيه اليوتوبيا على حساب التكتيك اليومي للقادة الذرائعيين.

وفي ظلمة البرسترويكا – وانا اصر على مخالفته في تقييم غورباتشوف – يصبح زكي خيري ضرورة تاريخية ملحة للشيوعيين العراقيين بقدر ما يقتضي الحال تشديد الكفاح لاعادة الحركة الشيوعية العراقية الى ساحة النضال الوطني الضد امبريالي وفصلها عن الخط المشئوم لحكم المعارضة ونؤكد مواقفه الوطنية والطبقية المتصلبة ان حاجتنا الى "الحرس القديم" رغم هناته وعتراته هي امس من حاجتنا الى الوجوه الشابة بعد ان اثبت الجيل الجديد ركاكة تاهيله , وتبلبله الفكري مع وضوح واشتداد ازمته الاخلاقية والوطنية. بل إن تجربة زكي خيري. القائد ابن الثمانين لتدحض مصادرات خائن الصين حول استبدال الوجوه لإعطاء الحزب سباباً أكثر.

وإنما تطلب الحكمة من أهلها الراسخين في سفر الثورة. الذين استعصوا على الفساد دون هذه القوافل من العبيد الجدد الذين نصبوا تمثال الحرية الأمريكي في عاصمة المشاعية الكونية أو جوقات النانحين على شيوخ النفط من فتيان ما بعد الحداثة ...

[1] أوردنا جواب زكي خيري في ملحق هذا الكتاب- دار الحمدي.

أود اخيراً التعقيب على ما ورد في الخطاب بخصوص موضوع الكويت ولقد أيدت دخول الجيش العراقي إلى هذه المستعمرة النفطية مستندا إلى كون الكويت جزءا من اقليم العراق كما تحدد في الجغرافيا العربية القديمة والحقائق السياسية المعاصرة حتى وصول المحتلين الانجليز إلى هذه البقاع وما فعلوه بها من تفكيك وتمزيق و لا علاقة لهذه المسألة بقضية الوحدة العربية. وبهذه المناسبة اقول ان دعم الجماهير العربية لهذا الإجراء لايرتبط هو الأخر بشعار القوميين العرب. المبشرين بوحدة اغنياء بسماركية كانوا أول من خانها عند الوصول إلى السلطة. بل هو موقف قومي متداخل ومشبع بالوعي الطبقي المحسس ضد اللصوصية النفطية. وقد اثبتت الجماهير العربية بوقفتها الشاملة تلك أنها أوعى من جميع السياسيين بل والأكثر اخلاصا للمبادىء. ولا أدل على ذلك من شمول الدعم شعوب عربية تعتمد في مقطع هام من معيشتها على العمل في المشيخات وكان من المفروض أن تنحاز إلى الشيوخ الذين لم يجدوا من يبكي عليهم غير المثقفين.

حوار مع هادي العلوي

أجرتها معه مجلة (صوت كردستان)

كاتب وباحث ومفكر ماركسي مستقل من مواليد، 1932 حائز على البكالوريوس في العلوم الاقتصادية. دراسة ذاتية للفلسفة والعلوم المتعلقة بها مع تخصص شخصي بالتأريخ الاسلامي والفلسفتين الاسلاميةو الصينية وتأريخ وتراث الصين. من مؤلفاته: نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي "دراسة لفلسفة صدر الدين الشيرازي التطورية" المستطرف الجديد "منتخبات من تراث الاسلام" المستطرف الصيني "منتخبات من تراث الصين مع دراسة للفلسفة الصينية" فصول من تاريخ الاسلام السياسي، المنتخب من اللزوميات "دراسة عن شخصية المعري ولأفكاره الاجتماعية والفلسفية" ويعكف حالياً على تأليف معجم موسع للغة العربية الحديثة.

ينحدر من عائلة فقيرة تنتمي الى الفرع الموسوي العلوي. عانى في صباه جوعاً مهلكاً أودي بحياة والدته لكنه عزز الوعي المشاعي في وجدانه المعذب ،يتمتع بمكانة مرموقة لدى الشعب الكردي لصداقته ومواقفه المبدئية من قضيته العادلة، مجلة صوت كردستان التقت الاستاذ هادي العلوي وكان معه الحوار التالي:

⋆س1- الاستاذ هادي العلوي، نرحب بكم في مجلة صوت كردستان ونثمن مواقفكم المبدئية الشجاعة من قضية الشعب الكردي، كيف ترون آفاق هذه القضية بأبعادها القومية والوطنية والانسانية في ظل ما يسمى "بالنظام الدولي الجديد"؟

⋆ج1- قضية الشعب الكردي ملأت العالم المعاصر وفرضت نفسها على الاحداث منذ أكثر من قرن. والثورة الكردية هي أطول الثورات عمراً في العصر الحديث. ويصبح واضحاً الان لجميع أعداء الشعب الكردي على اختلاف ألوانهم وتلاوينهم ودولهم وأحزابهم بأن هذه الثورة لن تتوقف الا بالتحرر الكامل للامة الكردية وانتظامها في دولة مستقلة. ولايغير النظام الامبريالي الجديد بقيادة عدوة الجنس البشري الولايات المتحدة شيئاً من هذا الوضع، سوى أنه استطاع احتواء حركة التحرير الكردية في كردستان الجنوبية(كردستان العراق) واستلحقها بمنظماته الدولية، وهو لن يستفيد من ذلك شيئالان الشعب الكردي سينفض يده من القيادات التي تتاجر بقضيته وسيصعب عليها الاستفادة من اصولها العشائرية أو للاحتفاظ بنفوذها مادام الوعي القومي هو الحاكم اليوم في عموم المجتمع الكردي.

⋆س2- العرب والاكراد عاشوا معاً، ورغم أن القضية الكردية أضحت شأن اقليمي ودولي يومي، الا أنه في الواقع يبدو أن بعض المفاهيم القومية الضيقة والخاطئة عن القضية الكردية من نوع "المؤامرة على الامة العربية، واسرائيل الثانية" لدى بعض الاوساط الثقافية والسياسية وحتى بعض الدول والحكومات العربية شوهت العلاقة التأريخية- الحضارية بين العرب والاكراد وأدت الى غياب حوار عربي كردي وبالتالي تحالف بين الحركة التحررية الكردية والعربية في وجه المخططات الاستعمارية والامبريالية التي تستهدف الشعبين... كيف تقيمون المسألة؟

⋆ج2- القضية الكردية غير مفهومة عربياً الا في العراق، وبفضل الشيوعيين العراقيين منذ أن تبنى مؤسس حزبهم يوسف سلمان(فهد) مطلب حق تقرير المصير لكردستان الجنوبية، وأنا شخصياً مدين في فهمي لهذه القضية للشيوعيين ورغم أني لست عضواً في حزبهم.

خارج العراق ينظر الى الاكراد كأقلية قومية في أحسن الاحوال. ولايخرج الماركسيون والشيوعيون العرب من غير العراقيين عن ذلك. أما القوميون بما فيهم التقدميون والذين حسنوا مواقفهم بشيء قليل أو كثير من التمركس فينظرون الى القضية الكردية كظاهرة لاعلاقة لها بحركة التحرير في المنطقة، وهم سلبيون ليس فقط تجاه أكراد العراق بل وأكراد تركيا وايران أيضاً. وبين القوميين العرب من يفضل دولة اسرائيل على دولة كردستان... لا أقصد القوميين الذين في السلطة فهذا موقف مفروغ منه بالنسبة لهم، انما أريد الاحزاب القومية خارج الحكم والشخصيات القومية والمثقفين القوميين. ويرجع الفضل لجمال عبدالناصر الذي تعامل ولو تكتيكياً مع قيادة الحركة الكردية في العراق واعطاها بذلك بعض المشروعية في العالم العربي. لكن التكتيك لم يتطور ويترسخ ولايتبني الناصريون في مصر وغيرها موقف ايجابي تجاه هذه القضية.

وأنا على أي حال أعول على اتساع واتصال تجربة حزب العمال الكردستاني pkk لاحداث انعطاف عربي في هذا المضمار. وينبغي على المثقفين العراقيين أن يقوموا بدورهم في توجيه زملائهم العرب وتصحيح الاخطاء المفهومية التي ينطلقون منها في معالجة هذه القضية، وأمل أن نصل معهم الى موقف متوازن ومعقول يقوم على الشعار التالي:"لتختفي دولة اسرائيل وتظهر دولة كردستان" فالاكراد منا ونحن منهم، واسرائيل ليست منا ولا نحن منها,للاكراد في حياة الحضارة االاسلامية نهر طويل لايتسع لاحد تسكيره.

⋆س3- كردياً هناك من يراهن على ايجاد حل للقضية الكردية اعتماداً على الغرب والبعد الدولي، في المقابل لحزب العمال الكردستاني pkk فلسفته وقراءته المستقلة والخاصة به وهي تعتمد على الشعب الكردي أولا، وارتباط ذلك عضوياً بتحرير الشعوب العربية والتركية والفارسية من كل أشكال الهيمنة والاستبداد. فما هي قراءتكم الخاصة للقضية الكردية؟

⋆ج3- توصل الغربيون بقدرتهم المشهودة على المناورة والخداع الاعلامي والتضليل الايديولوجي الى اكتساب ولاء الكثير من الساسة والمثقفين الاكراد في كردستان ايران والعراق واستخدامهم بالتالي ضد هذين البلدين حتى يتم للامبريالية ترتيب اوضاعها. وعندئذ يركلون الراكضين وراءهم على طريقة: انتعلوك ثم نبذوك,ان الغرب لايمكن ان يمنح دولة للاكراد لانه مهما فعل ومهما صنع من اتباع له في أوساط كردية معينة لن يضمن أن تكون الدولة الكردية رديفاً لدولة اسرائيل.

ان الاكراد هم السكان الاصليون لكردستان وليسوا مهاجرين.وهم المساهمون الكبار في صنع تاريخ المنطقة، ولهم في حياة الحضارة الاسلامية نهر طويل لايتسع لاحد تسكيره. والغربيون يعرفون هذه الحقيقة كما نعرفها نحن. وقد انطلق حزب العمال الكردستاني من فهمه لنوايا الغربيين الحقيقية بحكم انطلاقة من واقعه الكردي وخصوصية مجتمعه وعدائه الراسخ للامبرياليةمع استقلاله الكامل عن اي دولة كبيرة أو صغيرة.من هنا قطع منذ البدء أي تعويل على الدعم الغربي نقضيته,وانما يستفيد من تناقضات جبهة الاعداء العريضية ومن نفاق الغربيين في قضايا حقوق الانسان والقانون الدولي فيستخدمها في تكتيكاته الثورية من دون أن يجعلها هدف استراتيجي.

⋆ س 4:الحكام الاتراك يحلمون ب (تركيا العظمى)ويقولون حدودنا :من البحر الادرياتيكى الىسور الصين هل ترون أن تركيا

لها من الامكانيات المادية والحضارية لتحقيق أحلامها هذه , أم أن المسألة مجرد وهم في اطار النزعة الاستعمارية الطورانية القديمة الجديدة؟

⋆ج4 : هناك فروق هائلة بين سكان اسيا الوسطى وسكان تركيا ,فروق في كل شيء . ان الطورانية تعتمد على وحدة اللغة

للقول بالامة التركية التي ستقيم الامبراطورية التركية,لكن لغات اسيا الوسطى تطورت بأتجاه مغاير ولم يعد يمكن صنع لغة تركية موحدة لجميع هذه الشعوب. وتحاول تركيا ان توظف وحدة الدين لهذا الغرض وهي لاتملك ذلك لانها خرجت من الاسلام رسميا ولم تعد دولةمسلمة, وليس في تركياليوم مأي مظهر للاسلام يجعل من الممكن الحديث عن مجتمع تركي مسلم.ان الاتراك هم اخر من دخل الاسلام قديماوهم أول من خلعه ، حديثاً وكانت سهولة خروجهم من الاسلام نتيجة لعدم تأصلهم فيه، والاسلام الذي أعتنقه الاتراك هو الاكثر تخلفاً وقد عمل السلاطين الاتراك قبل السلاجقة وفي عهد السلاجقة وبعدهم على تدمير العقلانية الاسلامية واليهم يرجع السبب في اختفاء المعتزلة وتوقف الفلسفة وعلم الكلام وانكماش الباطنية الى منتبذات بعد ان كانت تغمر العالم الاسلامي بنشاطها الفكري والسياسي. وحارب الاتراك حتى الاشاعرة وهم سلفيون مثلهم لكنهم كانوا يستعملون البراهين المنطقية لاثبات
عقائدهم فاضطهد هم الاتراك واعدموا الكثير منهم. ويستحيل على تركيا أن توظف الاسلام في مشروعها الامبراطوري، أنها أحلام عصافير كثيراً ما يقع فيها التوسعيون القوميون من شتى الاجناس.
أما حزب الرفاه الاسلامي فهو لعبة طورانيةجديدة تتستر بالاسلام لمحاربة الثورة الكردية، وينبغي التصدي له على أي حال وفضحه لمنع تأثيراته الضارة على بعض البسطاء من الاكراد.

⋆س5- اعتادت تركيا على تصوير الثورة الكردستانية الشمالية بأنها مشكلة وافدة من الخارج ووصفها بالارهاب في حين يوجد أكثر من 20 مليون كردي في كردستان الشمالية محرومون من أبسط حقوقهم القومية والانسانية.بما ذا تفسرون اعتياد الحكام الاتراك غلى تصوير المشكلة على أنها من صنع الخارج؟

⋆ج5- جميع الحكومات المصنوعة من الخارج والمرتبط بقاؤها في الحكم بقرارات خارجية تصور المعارضة الشعبية لها على أنها مصنوعة من الخارج. ان حكومة البحرين التي يديرها العسكري البريطاني هندرسون HINDIRSON تتهم الانتفاضة الشعبية التي أجمعت عليها جميع فئات الشعب وجميع الاحزاب السياسية، بأنها مصنوعة من الخارج. في حين أن حكومة البحرين يمكن أن تطير في لحظة بقرار بريطاني أو أمريكي... فما الغرابة في أن تصور الحكومة التركية ثورة كردستان الشمالية على أنها وافدة من الخارج؟. أما وصف الثورة بالارهاب فان المصدر الوحيد للارهاب هي الدول الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة التي تقف وراء الجرائم المنظمة في جميع أنحاء العالم بما في ذلك جرائم التسميم بالغاز في اليابان عن طريق الطائفة الدينية التي تسيرها المخابرات الامريكية، وهدفها من ذلك ارباك الوضع الياباني كجزء من الحرب التي تشنها الرأسمالية الامريكية على الرأسمالية اليابانية والتي سبق لمسؤولين أمريكان ان هددوا بجعلها حربا ساخنة. وتركيا الكمالية دولة ترعرعت في الارهاب وقامت على الارهاب منذ اللحظة الاولى، وتأريخها القصير موسوم بالمذابح التي نظمتها للارمن والاكراد. أنها دولة مغموسة بالدم ومدعومة ارهابياً من رعاة الارهاب في الغرب، أولئك المذعورن من تحركات الشعوب والمستعدين لاستخدام جميع الوسائل الوحشية وجميع الاساليب الهمجية الممكنة لاخماد ثورات المظلومين من ضحايا ارهابهم المنظم.

⋆س6- في هذا الاطار جددت تركيا مطالبتها بالموصل وجزءاً من كردستان الجنوبية هل الدعوة نتاج أزمة داخلية أم فعلا تركيا جادة في مطالبتها؟ وهل تتوقعون رد فعل عربي فيما اذا أقدمت تركيا على خطوة في هذا الاتجاه؟

⋆ج6- لاأعتقد بوجود أزمة داخلية في تركيا من جهة الوضع الشعبي لان الاتراك كالاسرائيليين يملكون قواسم مشتركة تجمع المعارضة والسلطة وتمنع من كسر العظم بينهما. والمطالبة بالموصل وبجزء من كردستان الجنوبية تأتي في المجرى العام للايديولوجيا الطورانية التي تقوم على التوسع والعدوان. ولاننسى أن تركيا هي في الاصل مجتمع مهاجرين احتلوا اقليم اسيا الصغرى وفرضوا عليه الصبغة التركية ثما اتجهوا- كما هو حال الاسرائيليين- الى توسيع مهجرهم بالحاق أراضي أخرى تقع خارج اقليم اسيا الصغرى فاستولوا على كردستان الشمالية وجزء من ارمينيا واجزاء من سوريا و أخرى

من اليونان ليقيموا دولة متعددة الاحتلالات. ومايزال مشروعهم التوسعي قائما وهم يجدون فرصة ذهبية في الوضع الحالي للعراق من جهة الحصار الامبريالي ووجود حكم ضعيف ومستعد للتفريط بوحدة العراق وسيادته مقابل بقائه في السلطة ولو على جزءصغير من أراضي العراق. هذا مع وجود معارضة غير وطنية ومستعدة هي الاخرى لتسليم أي جزء مطلوب من الاراضي العراقية لقاء اسقاط النظام والحلول محله، وكان بقدور تركيا أن تحقق احلامها في الموصل في هذه الظروف المواتية لولا أن الامبريالية الامريكية اجلت مشروع تقسيم العراق خوفاً من وصول ايران الى أحد الاجزاء وتمددها من خلاله في المنطقة. وبتقديري لو أن ايران الحالية هي ايران الشاه لتم التنفيذ وستكتفي الدول العربية الاخرى عندئذ بتسجيل احتجاجها كما فعلت وتفعل دائماً بخصوص فلسطين على أني أضع ثقتي الكاملة بالشعب العراقي الذي سيختار في الوقت المناسب قيادته الوطنية ويرد على العدوان التركي ويمنعه من تحقيق اهدافه في حال دخول المشروع الامبريالي حيز التنفيذ في ظروف مغايرة.

⋆س7- ان الحرب التي يخوضها pkk ضد الدولة الاستعمارية التركية ليست حرباً كردية بقدر ما هي حرب بالنيابة عن شعوب المنطقة أيضاً ضد الطموحات التركية الاستعمارية والبعد الغربي المرسوم لدور تركيا في المنطقة، كيف تقيمون حرب pkk في هذه المرحلة الحساسة؟

⋆ج7- أن حرب حزب العمال الكردستاني pkk ضد الاستعمار التركي هي حرب ضد الاستعمار الاميركي والاوروبي ضد الامبريالية العالمية التي تشعر منذ بعض الوقت بالاسترخاء بعد انهيار معسكر الاشتراكية المشيدة وخيانة ما تبقى من دوله وبقاء كوبا وحدها في مواجهة الامبريالية بقدرات ضعيفة محدودة. ويأتي ظهور pkk بوصفه اختراقاً في جدار الصمت يصل الى قلب الامبريالية ويعيد اليها حالة التوتر ويمنعها من الاسترخاء والراحة. وفي ظروف التراجع في المنطقة والعالم الثالث عموماً فان ثورة شعبية مسلحة وبهذا العمق والاتساع لابد أن تكون منطلق لحركة التحرر للشعوب العربية وشعوب اسيا وقدوة ملهمة لابد من ان تفجر نظائر لها في هذا العالم المعذب، فتكبر ساحة النزال ضد العدو الامريكي وأدواته المحلية لاسيما اسرائيل وتركيا والمحميات العربية. وتملا ثورة pkk الفراغ الذي تركته المقاومة الفلسطينية بعد أن فسدت منظماتها بالجملة وتحولت بيمينها ويسارها الى أدوات بيد المجتمع الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة.

ان حزب العمال الكردستاني pkk يأخذ بثأر الكرامة العربية التي أهدرها الامبرياليون بايدي القادة والمتصدرين الذين زكموا الانوف بفضائحهم الشخصية والسياسية معاً. ولاشك في أن القوى الامبريالية في أوروبا وامريكا الشمالية تتحسس الخطر وتسعى لمواجهته منذ الان. ويأتي من هنا العدوان الاطلسي الاخير على كردستان الجنوبية بتدبير من القيادة العليا للامبرياليين نفذته أداتهم الطورانية للقضاء على قواعد المقاتلين الاكراد ومحاصرتهم. أما الزعيق الاعلامي الذي يصدر من هذه الدولة الامبريالية أو تلك فهو لايخفي على الوعاة الذين خبروا السياسة الامبريالية منذ وقت بعيد. ان حجم العدوان واندفاع المعتدين في ساعاته الاولى يفسر حجم القلق الذي ينتاب الاوساط الامبريالية من الثورة الكردية المعاصرة ليس فقط لانها بداية السيرورة التاريخية للتحرر النهائي للشعب الكردي بل ولانها تنفجر في هذه المنطقة التي تقع في قلب الاستراتيجية الامبريالية وبعد أن اطمأن الغربيون الى انتكاس حركة التحرر العربي وخيانة معظم قياداتها واستسلامهم للعدو وغوصها في مستنقع المجتمع الدولي والنظام الدولي الجديد. أنها البداية الجديدة التي سنعيد بها الكرة على العدو الامبريالي وباداة مغايرة وايديولوجية مغايرة تمتلك قوة دفع اشد وأعظم؟

⋆س8- في ضوء انهيار الطموحات التركية في البلقان والقوقازواسيا الوسطى وتفجر الصراع القومي والطائفي والمذهبي داخل تركياو الانهيار الاقتصادي الشامل وافلاس السياسة التركية الكمالية. كيف تنظرون الى تركيا المستقبل؟

⋆ج8- ان تركيا كيان هجين ليس له جذر تاريخي وانما نشأت نتيجة احتلال استيطاني وتركيبتها متنافرة تضم اقاليم وشعوب شتى لايجمعها جامع مع العنصر التركي. وعناصره غريبة عن بعضها وانما يبقيه على حالة من الانسجام الظاهري قوة الجيش التركي.والاتراك كما يقول جمال الدين الافغاني: لم يعرفوا من امور الدنيا غير الجيش والحرب. وأمام الانهيار الاقتصادي الشامل والفشل المتلاحق في البلقان والقوقاز واسيا الوسطى والهزائم الجديدة في المجابهة مع الثورة الكردية فان مصير تركيا لابد أن يوضع موضع التساؤل. وباعتقادي أننا نستطيع أن نعجل بتفكيك هذا الكيان العدواني بحلف شامل يضم ضحايا العدوان التركي وهم: كردستان –العراق- سوريا- ارمينيا- اليونان- قبرص. لتشكيل طوق يحيط بعنق الوحش الطوراني- الاطلسي لخنقه، وأراه حلفاً ممكناً في المستقبل المنظور. وأنا على أي حال لاأتصور امكان ازالة تركيا من الوجود فهذا أمر غير وارد، خلاف الحال بالنسبة لاسرائيل. ان المطروح امكاناً ومشروعية هو القضاء على العدوان التركي وتحرير الشعوب والاقاليم الملحقة بتركيا. واعادتها الى حجمها الطبيعي كدولة صغيرة تحكم مواطنيها الاتراك بملايينهم العشرين. بقدر ما تتجذر ثورة PKK وتسجل المزيد من الانتصارات سيكون تأثيرها أكبر وستشرئب نحوها قلوب الجماهير ليس الكردية فقط، بل العربية والفارسية أيضاً.

⋆ من المؤسف ان الاحزاب التي تدعي التقدمية واليسارية والاشتراكية في هذه المنطقة حتى الان لم تقترب من الحقيقة الكردستانية وحربPKK ، وكأن المسألة لاتعنيها، هل هي أزمة فكر أم حركة وكيف تحلل ذلك؟

⋆ اليسار التقليدي صف أوراقه وبقيت له الذكريات. وكان أنهيار المعسكر الاشتراكي من الداخل وخيانة الصين قد أفقد هذا اليسار مصداقيته ونحاه بعيداً عن الفعل المؤثر في الساحة. وقد أتجهت فئات كثيرة من الشيوعيين والماركسين صوب المعسكر الآخر وسارت في ركاب النظام الامريكي الجديد وأخذ العديد من الماركسيين الغربيين يدعون الى دمج العالم الثالث بالعالم الرأسمالي، ويردون على دعوة سمير أمين لفك الارتباط مع النظام الاقتصادي الرأسمالي. معتبرين أن مصير العالم الثالث رهن بتطور الرأسمالية العالمية وأمتدادها الى أحشائه وزواياه الضيقة لتجلب اليها الرفاه. ومع تمسك بعض هؤلاء بالمنهج الماركسي في التحليل يبرز نوع من الماركسية المنزوعة عنها صفتها الثورية لتقديم التحليلات التي تصب في اخر المطاف في مسعى النظام الامريكي الى تغييب الحقائق واعطاء الاحداث الجارية وجهاً مغايراً لما كانت الجماهير تعرفه عنها وتحلله بوعيها السليقي الصافي. وهكذا يمكنني القول، اننا نقف بازاء ركانة ماركسية مفرغة من هويتها الطبقية والصراعية يمارسها ماركسيون يحملون صفة باحثين واختصاصيين وخبراء وربما علماء لاينفصلون عن معسكر الرأسمالية ونظامها العالمي وتقدم لهم التسهيلات من جامعات ومعاهد بحوث وتجمعات دراسية في شتى بلدان أوربا وأمريكا الشمالية. من الطبيعي اذن أن تبتعد هذه الفئات عن الحقيقة الكردستانية وثورة كردستان المعاصرة لان المسألة لاتعنيها بل هي تعاديها. وقد حسمت موقفها حتى قبل ظهور البروسترويكا حينما اجتمعت بعد انبثاق حركة PKK وأعلنت ادانتها للحركة وتبرأت من نضالها المسلح من غير أن يكون لها أي مصلحة في هذا الاعلان بحيث بدت كما لو أنها مكلفة من الطورانية التركية باعلان موقف.

وهذه خاتمة طبيعية لسلسلة الاخطاء والخطايا التي وقعت فيها الحركة الشيوعية بعد لينين. وقد منعت التبعية المطلقة للاتحاد السوفيتي أطراف الحركة الشيوعية خارج الحكم ومنها الشيوعية العربية من الانتباه للخطر والقيام بما ينبغي عليهم لتحصين القيادة السوفيتية ضد الفساد الداخلي الذي فتح الطريق أمام الغربيين لتلغيم الحزب الشيوعي السوفيتي. وبالعكس فقد واصلت معظم الاحزاب الشيوعية في منطقتنا تبعيتها للسوفيت وسارت مع المدرج المرسوم للانهيار وادلجت له واعتنقت اطروحاته بل واستمرت عليها بعد الانهيار بانضمامها الى النظام الدولي الجديد كما تسميه الى حد التعامل معه في برامجها المعدلة.

هذه التنظيمات /المسوخ/ تناصب حزب العمال الكردستاني العداء وتتضامن ضده مع قوى البرجوازية الفاسدة لانها تفضل التحالف مع هذه القوى على التحالف مع يسار حقيقي يعيد اليها الاعتبار بعد أن استروحت الهزيمة ونظرت لها بما يكفي.
-والمشكلة على أي حال هي مشكلة القيادات والكوادر. أما قواعد هذه التنظيمات وجماهيرها فهي وطنية وشيوعية بالوعي السليقي الحر الذي لاتنال منه تحليلات السياسيين والمثقفين المضخمة بالتجريد. ويتوجب من هنا على قيادةPKK أن تحسن التعامل مع هذه القواعد وتمتن علاقتها بها لانها لم تتمرغ في الهزيمة والانحراف. ويمكن دفعها باتجاه الضغط على قياداتها لتغييرها والمجيء بقيادات ميدانية من صفوف الجماهير لاعادة التنظيمات الى المسار الصحيح. وبقدر ما تتجذر ثورة PKK وتسجل المزيد من الانتصارات سيكون تأثيرها اكبر وستشرئب نحوها قلوب الجماهير ليس الكردية فقط بل والعربية والفارسية وسيسهل ذلك عمل الحزب الكردستاني في وسط هذه الجماهير لدفعها الى مسك زمام المبادرة لتصحيح الاوضاع في داخل تنظيماتها. وللقدوة في أي وسط دور عظيم في التغيير، وباب التغيير مفتوح مع غياب المركز الاممي الضاغط، فقد كانت البيروقراطية السوفيتية تتدخل في سياسات الاحزاب وتحدد لها برامجها وخططها بصرف النظر عن المصالح الوطنية ومجريات الصراع الطبقي في بلدانها. وهي التي منعت الشيوعيين العراقيين استلام السلطة بعد ثورة 14 تموز 1958 بعد أن تهيأت الظروف والاسباب الكافية لذلك. يمكننا اليوم ان نتحرك من غير منغصات خارجية.
⋆س10- فشلت تركيا عسكرياً في القضاء على الثورة الكردستانية. والغزو التركي الاخير لكردستان الجنوبية دليل ساطع على ذلك، هل تعتقد أن تركيا ستفكر في ايجاد حل سياسي للقضية الكردية تحت وطأة الحرب التي يقودها حزب العمال الكردستانيPKK ؟
⋆ج10- اتمنى أن لايتنازل الاتراك فيفكروا في ايجاد حل سلمي للقضية الكردية.. في كثير من التجارب الماضية كان العدو يلجأ الى التفاوض عندما يتبين له عجزه في الميدان العسكري ليحقق عن طريق المفاوضات والحلول السلمية مالم يحققه بالحرب. وأنا على أي حال اثق بنزاهة وثورية حزب العمال الكردستاني وبوعي قاعدته الشعبية وجماهيره القادرة على أن تمنع حصول أية مساومة خلال المفاوضات، ان التحليلات التي تجريها القيادة لعناصر الحركة وعضوية الحزب تدل على فهم جيد لمكوناته يقترب من الفهم الذي صدر عن "ليوشاوشي" في كتابه المرجعي "تزي شييه"- التثقيف الذاتي –الذي ترجم الى العربية بعنوان (كيف تصبح شيوعياً جيداً) وترجمه الى الكردية صديقي محمد ملا عبدالكريم المدرس بعنوان (كيف تصبح مناضلا جيداً) ومعرفة كوادر الحزب وعناصره المختلفة لازمة للتصرف الصحيح معها لتقويم انحرافها.
وهذه مهمة تتولاها القيادة. ولجماهير والقواعد مهمة مقابلة اذا حصل انحراف في القيادة. وبهذا الخصوص أكثر الرفيق عبدالله آوج آلان على مبدأ استبدال القائد اذا أظهر عجزاً أو استعداداً للمساومة. وهو مبدأ اسلامي قديم توسع الخوارج بشكل صحيح في تطبيقه. ان الحل السلمي اذا أرادته تركيا يجب أن لايكون حلا وسطا لان الاتراك اذا أرادوه فلأنهم خسروا الحرب وعندئذ يتفاوض حزب العمال الكردستاني"pkk" بوصفه الطرف الغالب فيفرض شروطه.
⋆س11- يشاع أن عصر الايديولوجيات قد ولى وأن عصرنا هو عصر تكنولوجيا، في المقابل يدعو pkk الى تعميق الايديولجية على أسس انسانية جديدة لحل مشاكل البشرية، فهو يرى أن التكنولوجيا عاجزة عن ايجاد مثل هذا الحل، فالمشكلة أساسا هي مشكلة قيم ومبادىء. فما هو موقفك من هذه القضية الفكرية؟
⋆ج11- لاشك انكم تقصدون عصر القيم الثورية والانسانية المعبر عنها بالمنظومات الايديولوجية، هوعصر مشترك لجميع مراحل التاريخ. ويشتد حضوره مع اشتداد الازمات وتكالب الطغاة والامبرياليين. والحاجة اليوم الى القيم والمبادىء أشد منها في أي وقت مضى، وانما يروج لعصر التكنولوجيا ايتام(غور باتشوف) وأصدقاء (يلتسن) من الكتبة والساسة المهزومين.

ان دعوة pkk الى تعميق الايديولوجيا على اسس انسانية جديدة تستجيب لحاجة راهنة ولازمة وينبغي أن تأخذ هذه الايديولجية الجديدة بمنظومات القيم الانسانية لمنطقتنا كما فعل الشيوعيون الصينيون وأن يلتفت الثوريون الاكراد الى تقاليدهم الحميدة وقيم شعبهم باصولها المشاعية والجماعية للدمج بينها وبين المبادىء الماركسية وصولاً الى تكريد الماركسية.

وللشعب الكردي قيم متكاملة يستمدها من طبيعة حياته الجماعية ومن منظومات حضارته الاسلامية الراقية. ويحاول البرجوازيون من اكراد العراق وايران بالخصوص تدمير هذه القيم لحساب القيم البرجوازية الفاسدة التي نشرها الامبرياليون الغربيون على نطاق العالم مستعينين بعملائهم المحليين. وينبغي التصدي لايديولوجيتهم العاطلة وتثقيف جماهيرنا بالمبادىء الحرة الثورية التي تحفظ للانسان انسانيته وللشعب اصالته وتفتح له الطريق لبناء عالم جديد متحرر من الاستغلال بشتى أشكاله وتسمياته.

⋆س12- كمفكر وباحث عربي معروف بمواقفك التقدمية والثورية، هل من كلمة توجهونها الى الحكومات والاحزاب والمثقفين العرب، تجاه القضية الكردية، انطلاقاً من تلازم نضال الشعبين الكردي العربي ومصيرهما الواحد؟

⋆ج12- اوجه ندائي الى زملائي المثقفين العرب الوطنيين، فأقول: ان القضية الكردية هي بمستوى واهمية القضية الفلسطينية، وانها الان كما هي في الماضي موضوع صراع ضد الامبريالية وأن استغلالها من قبل البرجوازية الكردية كاستغلال القضية الفلسطينية من قبل البرجوازية العربية كأحزاب، وقطاع الطرق العرب كحكام. وأن وجود فئات من القوميين الاكراد تضع قضية التحرر الكردستانية في سلة النظام الامبريالي لايؤثر بشيء على مشروعية هذه القضية وعدالتها.

ومع ظهور حركة حزب العمال الكردستاني، تأخذ القضية وضعها الصحيح وتقطع خط النفاق على الامبرياليين لتضعهم في خطة المواجهة مع الشعب الكردي كما هم تماماً مع الشعب الفلسطيني.

ان المثقف العربي الذي يعادي القضية الكردية لايمكنه أن يخدم قضية التحرر العربي وسيسقط اخيراً في مستنقع المساومة الذي سبقه اليه الحكام. ان دولة كردستان حينما تظهر ستكون هي الضد الجوهري لدولة اسرائيل، وهي لن تقوم الا على حساب هذه الدولة غير الشرعية. ويستحيل على كيان سياسي يقوده حزب العمال الكدرستاني أم أي حزب على شاكلته ان لايكون ظهيراً للعرب، وللفلسطينيين بالخصوص، ضد العدو الامبريالي والصهيوني المشترك.

ان الأمتين الكردية والعربية هما أقرب الامم الى بعضهما وستكون الاخوة بينهما امتن واصدق حين تنجز الامة الكردية تحررها الكامل، تلك الغاية التي يتعين على العرب أن يساعدوا الاكراد على بلوغها.

جواباً على مقالة هادي العلوي المنشورة في هذا الكتاب اجاب السيد زكي خيري بهذه الرسالة:-

(رسالة الرفيق زكي خيري)

نحن نعيش اليوم فترة انحسار في المسيرة الثورية العالمية, تشبه على مقياس اوسع الفترة التي أعقبت انتكاسة الثورة الروسية الأولي(1905—1907) عندما شاع التفسخ في الحركة وخرج بعض المثقفين الكبار من وزن لوناتشارسكي ومكسيم غوركي ليركضوا وراء الباحثين عن الله ردحاً من الزمن، وهذا شأن بعض زملائنا في (الرابطة)مع الفارق . لقد استهوتهم الثقافة الغربية ولاسيما النمط الاستهلاكي الى حد انهم كانوا ينظرون باشمئزاز الى منجزات الاشتراكية المهمةكما استهوتهم الموضات اليسرية والنهيبة الخ... وكان ما يميزهم عن امثالهم في الغرب روح "المسايرة "فكانوا يأكلون مع معاوية ويصلون وراء (على)، كانوا يتظاهرون براديكالية ابعد جذوراً من راديكالية المتطرفين، اما الان فقد غدوا واقعيين الى ابعد حد.

فهم يعترفون ان لبريطانيا ، مثلا ، مصالح تأريخية في العراق لايجب نسيانها وينتظرون الديمقراطية من الدول الامبريالية ليس بالمجان بل لقاء ثروات البلاد الطبيعية ، مدعين ان الامبريالية مزمعة منح شعوبنا قسطاً معقولاً من الديقراطية وبسيطة العيش وان ذلك من صالحها هي بالذات ، ومنهم من هو اكثر "واقعية"فيقدم النصائح للامبرياليين ويطالبهم باعطاء المعارضة العراقية استقلالية القرار فهذا في صالحهم هم ويذكرنا هذا بالنصائح التي يقدمها الزعماء العرب لحكام امريكا بان من الافضل لصالحهم ان يعتمدوا على العرب لا على الصهيونية . يعني على الصيد لا على كلاب الصيد.

الازمة الراهنة في السيرورة الثورية جاءت كالحامض الذي يظهر الصورة الفوتوكرافية الكامنة ، فقد عزت الامراض السرية والعيوب الكامنة بلا هوادة . وليس جميعهم سواء فمنهم من تبلبل لقلة خبرته السياسية في مواجهة وضع معقد غاية التعقيد.

انت ترمي بثقلك على جانب واحد من الديقراطية الغربية ، الملطخة بدماء شعوب الشرق والسائدة لكل الطغاة والجلادين في عالم اليوم...التي تتاجر باللجوء السياسي والانساني وتجميع ابناءها وترميهم في احضان البطالة وتدفعهم الى احتراف البغاء والشحاذة والاجرام ، بيد ان للديمقراطية الغربية وجهها الاخر مادامت في ظل سلطان الامبريالية والرأسمال الكبير كما هي الحال في اي ظاهرة اخرى في هذا النظام . فالديمقراطية جاءت ثمرة لنضال الشعوب منذ القرن السابع عشر فقد سكبت الشعوب دماءها انهاراً في سبيلها وقطعت من اجلها رؤوساً متوجة لتنتزع منها انتزاعاً لم يعطها السلاطين منحة لشعوبهم . ولم تترسخ الديمقراطية الا بنضج الحركة العمالية (الشارتية في بريطانيا وكومونة باريس)وعلى اساس الديمقراطية الغربية نالت الحركة العالمية بالنضال من داخل البرلمان وخارجه اصلاحات واسعة اقتبستها من الاشتراكية السوفيتية.

ومهما كانت هذه الاصلاحات فهي على اي حال مهددة بالزوال بصرف النظر عن الطريقة التي تحققت بها ما لم يسهر الشعب العامل عليها، ان ازدواجية الديمقراطية الغربية تشبه الالهة الاغريقية التي كان لها رأس واحد بوجهين متباينين ذات اليمين وذات الشمال او ملك الحيرة ويوميه : يوم النعمة ويوم النقمة .

وشتان بين ديمقراطية ينتزعها الشعب من حكامه عنوة واقتدارا وبين جرعة مزيفة من الديمقراطية مصنوعة في الغرب ... انهم يضخمون صدام حسين الى حد الخرافة لانهم يائسون من تمكن الشعب من زحزحته فيلجأون الى الغرب ليزيحه لهم لقاء بيعهم النفط له بثمن بخس، يوجد فريق من الشعب العراقي . وليس حفنة زهيدة .باي حال من الاحوال يأتم بصدام وقد شاركوه في نهب الكويت . ومثل هؤلاء وجدوا لدى شعوب مثقفة كالشعوب الغربية وقد شاركوا الامبريالية حتى على طريقة الفرهود البدائية في نهب الشعوب الضعيفة، كما يوجد من اضطر الى الانقياد لصدام من اخيار الشعب العراقي وليس من اشراره فقط . لايدافع الفرهود بل خوفاً على مصير الوطن . هؤلاء ينكر وجودهم بعض الكتاب ويدعون انهم لم يقاتلوا دفاعاً عن الوطن بل خوفاً من فصائل الرمي لئلا تعدمهم وقد سال احد المرسلين الغربيين ستالين خلال الحرب العالمية الثانية قائلاً:"يقول البعض ان جنودك صمدوا خوفاً من قوة الامن السوفيتية (اوغيو) وكان رد ستالين مقتضباً . ولكن الجيش الالماني اقوى من الاوغيو":

انسحب العراق من ارض ايران بعد هزيمة المحمرة وسلم بشروط الامم المتحدة لوقف القتال ورفضت ايران تلك الشروط وغزت ارض العراق في تموز 1982 وتغير طابع الحرب بالنسبة للطرفين المتحاربين وانقلب المدافع غازياً والغازي مدافعاً . وبلغ تعداد القوات العراقية المدافعة عن ارض الوطن (1.6) مليون اي ضمت الشعب العراقي القادر على حمل السلاح, والىجانب ذلك المشهد الرئيسي كان مشهد جانبي وهو ان عدة آلاف من الانصار البيشمركة كانوا يشنون حرب انصار ثورية منذ سنين طويلة ضد القوات المسلحة العراقية من اجل الاطاحة بالدكتاتورية وإقامة الديمقراطية . ولم ادع انا الى القاء السلاح تحت قدمي الدكتاتورية بل دعوت الى تحويل البندقية من كتف الى كتف اى الكف مؤقتاً عن الحرب الاهلية

لصد الغزاة عن ارض الوطن ، عن الكف عن مقاتلة الشعب العراقي المسلح والمدافع عن ارض الوطن والتحالف معه ضد الغزاة ريثما يطرد الغزاة عن ارض الوطن . وكنت مقتدياً بما فعله ماوتسي تونغ عام 1937 بعد حرب اهلية دامت عشر سنوات ولم تكن دعوتي حدثاً ولا بدعة ولا ضلالة ولا في النار . ولو اخذت المعارضة المسلحة بهذا الرأي لما اوغرت عليها صدر "الشعب لامسلح"ولما استطاع صدام حسين ان ينفذ مخاططاته ضد المعارضة المسلحة وحسب بل اسوأ من ذلك كله إنها شتت شمل الشعب الكردي وان يكن الى حين .

وفي المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا (1985) اقترحت اصدار قرار باسم المؤتمر يحيى الشعب العراقي لاستبساله في الدفاع عن ارض وطنه ضد الغزو الاجنبي فقوبلت بوجوم ثم توالى الخطباء العسكرتاريون على مواجهتي واستنكر احدهم ان يسمح لواحد مثلي بحضور المؤتمر والايحاء بالتحالف مع الدكتاتورية ضد الغزاة . والتزاما بالتقاليد القديمة لم ابشر برايي الخاص خارج المؤتمر بل بالعكس دافعت علنا عن موقف الحزب ، مع انني خالفته داخل اللجنة المركزية منذ 1982 ولم اخرج عن التقليد الديمقراطي الا بعد التعرض الايراني الكبير والاخير على البصرة عام 1987 وبعد ان هوجم موقفي من طرف خفي في ملف كرسته الثقافة الجديدة ضد "الدفاع عن الوطن "وكان محرره زميلنا في الرابطة (فالح عبد الجبار)حين فرط في اهمية الارض في مفهوم الوطن, والشرط في دور النظام حيث اشترط قيام حكم "الطبقات الاربعة"للدفاع عن الوطن ، بل كشرط لوجود الوطن وقد الح خصومي في الرأي على ان الجيش اداة قمع بيد النظام للدفاع عن نفسه وقد التزمت انا بموقفي المختلف من الجيش : وهو انه كاي ظاهرة في المجتمع الطبقي ظاهرة ذات وجهين وطبيعة مثنوية . خير وشر ، نور وظلام ، دكتور جايكل يقول ان الجيش للدفاع عن الوطن واداة لقمع تطلعات الشعب والخ. او كما قال الدياليكتيكي العظيم لينين :"ان الحكم الاساسي في الديالكتيك الماركسي يتلخص في كون جميع الحدود في الطبيعة وفي المجتمع ، هي اصطلاحية ومتحركة ، وانه ما من ظاهرة لايمكن ان تنقلب الى ضدها اذا ما توفرت الظروف لذلك, فالحرب الوطنية يمكن ان تتحول الى حرب امبريالية وبالعكس"(الحروب العادلة والحروب غير العادلة)والجيش العراقي ليس استثناء فقد استخدم مرارا لقمع تطلعات الشعب ، حتى ان وثيقة حزبية وصفته بأنه ، صانع جميع امجاد الشعب الوطنية .

ان وجود صدام حسين على رأس الجيش بوصفه ، القائد الاعلى العام لايغير شيئاً من هذا الواقع . ان الخطأ يكمن في تضخيم ظاهرة صدام الى حد يحجب لا الجيش وحده بل قضية الدفاع عن الوطن ايضاً.

ان التراكم الكمي يؤدي في النقاط الحرجة الى تغيير في الكيف ايضاً ، هذا قانون من قوانين الديالكتيك الثلاثة المعروفة . وعندما يضم الجيش الرجال القادرين على حمل السلاح كلهم او جلهم ، يتغير من حيث الكيف ايضاً ولايعود جيشاً عقائدياً او جيش مرتزقة او محض اداة قمع بيد النظام . لقد قام لفيف من الجيش بنهب الكويت وباعمال قتل وسلب وهتك .. وكذلك القول في الاستباحات واعمال الابادة الجماعية التي ارتكبوها بحق الشعب الكردي. ولكن هذا الجزء من الجيش ليس الجانب الوحيد او الكلي . وقد تقلص الجيش الآن الى ربع ما كان عليه خلال الحرب العراقية الايرانية اي اصبح في حدود 400.000 رجل وضابط وحتى الجيش المصغر المنتقى ليس الحرس الخاص لا لصدام حسين ولا لنظامه، بل يمكن ان يتحول في اللحظة الحرجة الى عزرائيلهما اذا توفرت الظروف كما قال لينين ، لقد قمع هذا الجيش بعينه انتفاضة اذار 1991 لا لمجرد الدفاع عن النظام الراهن وراسه بل خوفا من تمزق الوطن ايضاً و بين ضباط الجيش وقادته نجد اكثرية تدين بالولاء للوطن وتخشى ان تمزق الدولة العراقية الى دويلات, وطوائف و ان يتمزق الوطن ويضيع الاستقلال والسيادة الوطنية ويتمزق الجيش موئل حياتها : فهل عمل مجمل تصرف المعارضة على تبديد هذا الخوف ام بالعكس ؟! هذا السؤال لايحتاج الى جواب .

ولا تندهش ياصديقي اذا ما سمعت بعضا من زملائنا في رابطة الكتاب راح يعيد النظر في ماهية الوطنية وقد حذفوا من قاموسهم السياسي كلمة عميل ليحلوا محلها كلمة (معميل) كما افتى ساخرا الشهيد ابو سعيد . نعم الوطنية القديمة قدم المجتمع البشري . الاقدم من اي مدرسة واي كتاب والتي تلقيناها مع حليب امهاتنا . قد طرحت الان على بساط بحث الكتبة الديمقراطيين المحدثين لا من نمط ديمقراطية الجادرجي الوطنية العتيقة ! اما اذا قلت لهم ياخي ان هذه ديمقراطية امبريالية لاخير فيها لردوا عليك فوراً: ولكن أليست هذه افضل من نظام صدام حسين والى غسل اليد من قدرة الشعب العراقي والنظرة الاحادية الجانب الى الجيش العراقي وهما الشعب والجيش اللذان انزلا تلك الهزيمة العالمية بالامبريالية . اعني ثورة 14/ تموز .

سوف يقولون لك دعنا من هذا الخيال الثوري الجامح ولنكن واقعيين ، فعلى سبيل الاقل سوف يتاح قسط معين من الديمقراطية كما في مصر مثلا ، تتمتع فيه الاحزاب البرجوازية بالتعددية والشرعية واحتمال تداول السلطة مع اغماض العين الى هذا الحد او ذاك عن الوجود اللاشرعي للحزب الشيوعي "اوليس هذا افضل من النظام الراهن في العراق".

ولكن لاتسال عن الثمن ...

واذا كنت مصراً على طرح سؤالك فبحكم الواقع والواقعية لايوجد في عالم اليوم شيء بلا ثمن وسوف ندفع ثمناً للديمقراطية التي سوف يضمنها لنا اصدقاؤنا الجدد في الغرب ذلك السائل الوسخ الكريه الرائحة الذي يزين ارضنا !.. وكل ما في الامر هو اننا سنتسامح في سعر البرميل الواحد فبدلا من ان نبيعهم ثلاثة براميل بسعر برميل واحد من نفط تكساس يمكننا ان نتنازل عن برميل آخر او برميلين او اكثر لقاء الديمقراطية المعتدلة ...وفضلا عن ذلك سوف يسمح للرأسمال الخارجي بالتوغل في صناعة النفط المؤممة فقد غدا التأميم غريبا على الديمقراطية بل رمزا للمحافظة والدكتاتورية والوطنية المتطرفة ، ونحن لا نريد للشعب العراقي الا قسطا معتدلا من الرفاه والديمقراطية . فبدلا من كولبنكيان (مستر خمسة بالمئة)واحد كما كان الحال او كما هو الان سوف يكون لدينا (كولب- نكيانون) و(كولبا-نكيانات) بالجملة .

في آخر لقاء بين طارق عزيز وبيكر في بارجة حرب النفط الامريكية على العراق والتي تذكرنا بحرب الافيون على الصين في القرن الماضي من الناحية الاقتصادية ، طرح وزير الخارجية الامريكي على نظيره العراقي في جدول العمل نقطة تخص "السياسة البترولية"ولم اسمع شيئاً عما جرى حول هذا الموضوع مع انني سمعت كثرة من التفاصيل التافهة عن اللقاء من الاذاعة والتلفزيون الامريكية وغيرها.

ان ضرب الامبريالية وحلفائها لقدرات العراق الاقتصادية والدفاعية لم يكن هدفه الوحيد تخفيض سعر البرميل بل كان هو هذا الهدف الاساسي الرئيسي وقد انكشف للعالم كله ان تحرير الكويت كان شيئا مختلفا ..فامريكا هي التي قد سمحت لصدام من طرف خفي باحتلال الكويت قبل غزو صدام لها, وهذا ما فضحه المرشح الامريكي للرئاسة.

كنت في صباي من طلاب الوحدة العربية على طريقة بسمارك الذي وحد المانيا بشن الحرب. ولكنني حين أصبحت شيوعيا غدوت من دعاة الوحدة بالطريق الديمقراطي بتمكن كل شعب عربي آخرمن تقرير مصيره بنفسه بما في ذلك الاتحاد مع اى شعب عربي في كيان الدولة الموحدة ، ان غزو الجيش العراقي للكويت ابعد الوحدة وبغضها للشعب الكويتي على الاخص, لما تعرض له من كوارث على يد الغزاة ، اما الطريق الديمقراطي وهو الطريق الوحيد المضمون للوحدة في يومنا هذا فهو جعل العراق دولة ديمقراطية قدوة للبلاد العربية ودعم نضال الشعوب العربية في سبيل الديمقراطية . وقد اصبح العراق بلداً ديمقراطياً ومصدر اشعاع للشعوب العربية في عام الثورة تموز 1958- 1959.

ولكن الوحدويين البسماركيين ناضلوا باسم الوحدة للقضاء على الديمقراطيين بالتحالف مع العسكريين (البرنابارتيين) ، وحولوا العراق من منارة للحرية الى مصدر رعب للبلدان المجاورة بفضل المغامرات العدوانية المدمرة التي شنها صدام

حسين خلال عشر سنوات ونيف، ولنشر الموت بين الكرد والفرس والعرب, ولم تكن حرب الكويت فرصة تتيح للجيش الاستيلاء على زمام الامور اذ لم تكن حربا بالمعنى المعهود للكلمة ، فقد نشر صدام حسين الجيش العراقي في الصحراء لايستره اي ساتر من وسائل التدمير المعاصرة التي دفنت جنودنا في خنادقهم احياء ، كانت مجزرة بكل معنى الكلمة ، وكانت ضحايا العدو بسبب حوادث الطرق اكثر من ضحاياه في القتال الفعلي . ولم يشهد التاريخ العسكري قائدا اغبى من صدام حسين .

ايا اضحوكة السيف المدمي تقاطر من جوانبك الغباء

(الجواهري)

وتقضي العدالة تأليف محكمة من احياء الحرب لتقتص من هذا القائد المجرم والغبي الذي مكن الامبرياليين من تدمير جيش العراق انتقاما من ثورة 14/ تموز 1958 ، يجب اتاحة الفرصة لجنوده للاقتصاص منه بسبب غبائه قبل إجرامه. لقد خذل صدام حسين المعارضة الديمقراطية في بلدان الخليج مرتين خلال العقد (1980—1990) فأولاً في حربه العدوانية على ايران لحماية شيوخ النفط من المعارضة الشعبية التي سميت تسمية دينية والمطالبة في الحقيقة بالديمقراطية والعدالة والمساواة. وكلب حراسة للمصالح الامبريالية في الخليج وللأنظمة(القبتاريخية) بدلاً من أن يرعى حركات المعارضة سواء ضد المصالح الامبريالية أو حكم الشيوخ المستبد أو التوسع الايراني, وثانياً في مغامرته الطائشة بأحتلال الكويت فالقى الرعب في نفوس عرب الخليج فارتموا في احضان الشيوخ بعد أن كانوا ساخطين عليهم. وبذلك خذل قضية الديمقراطية في بلدان الخليج, وعزز نفوذ شيوخ النفط وهيمنتهم فضلاً عن إحكام الهيمنة الامبريالية على المنطقة وعودة قواتها إلى الخليج كما أن حربه على إيران ساهمت في حرف الثورة الايرانية عن مسارها الشعبي واعادت ايران ألى الوراء إلى الحكم الثيوقراطي بعد أن دعم حكم الشاه حتى سقوطه على يد ثورة الشعب الإيراني.

إن حكم صدام حسين لايزال يستند إلى قاعدة حزبية بعثية ولاتزال هذه تهيمن على القطعات العسكرية كضباط وضباط صف وكوادر حزبية. ومن الخطأ اعتبار هذه القاعدة البعثية سبيكة متجانسة مع صدام حسين في كل آرائه كما انه من الخطأ تبرئة ساحتها من جرائمه بحق الشعب والوطن والإنسانية. وكما أن حكم الحزب الواحد يجب أن ينتهي فمن الخطأ حرمان البعثيين الساخطين على صدام حسين أينما كانوا,من حقهم في الإحتفاظ بتنظيمهم الحزبي على الأسس الديمقراطية, كنت مع قضية الشعب الكردي بثبات منذ أن أصبحت شيوعياً. وفي سجن نقرة السليمان في أوائل الخمسينات اشركت في اجتماع للكوادر الشيوعية الكردية لاثبت لهم صواب حق تقرير المصير للشعب الكردي بما في ذلك حقه في إقامة دولته الوطنية المستقلة, وكانوا بعد أن قرأوا كتاب ستالين " الماركسية والقضية القومية"عن الأمة ومقومات تكون الأمة ومنها الاقتصاد المشترك. كانوا يشكون في كون الكرد أمة من الأمم التي تستحق أن تكون نفسها على أرضها كدولة وطنية مستقلة, قلت لهم أن ما يعنيه ستالين هو, الأمة تتشكل بعد زوال التجزئة الاقطاعية، وتكوين السوق الوطنية بدلاً من الأسواق المحلية, اي بأندماج هذه الأسواق بسوق واحدة وطنية. وإن التجزئة الاقتصادية والاقطاعية والتجزئة السياسية الاقطاعية قد زالت في كردستان العراق منذ اواسط القرن التاسع عشر بفضل الجيش التركي العثماني الذي سحق الإمارات الكردية في العراق وأرتباط الأسواق الكردية بسوق بغداد ولم يبق ثمة حاجز اقتصادي أو سياسي يحول دون قيام السوق الوطنية الكردية في مجرى التطور التأريخي وهذا التطور تسرع في ظل الحكم الذاتي ويبلغ ذروته في ظل الاستقلال . لم اقل كل هذا بمثل هذا الوضوح ولكن مجرى حديثي وماله كان هكذا.

أنا الان مع حق تقرير المصير بما فيه اقامة دولة وطنية مستقلة أو ربما اكثر من دولة واحدة كما يُرينا تأريخ العرب في القرن العشرين. ولكنني كشيوعي عراقي وعربي لست من دعاة انفصال كردستان من العراق في الحال الحاضر. فالنشاط الانفصالي الان يضعف سعي الشعب العراقي ككل من أجل أقامة نظام حكم ديمقراطي لكل العراق. أما من الناحية الدولية

فخلافاً لما قد تظنه بعض الاحزاب في كردستان العراق ليس الوضع الدولي الراهن ملائماً لقيام دولة كردية مستقلة منفصلة عن العراق. والدليل على ذلك أجتماع الدول الثلاثة المجاورة والتي يتوزع الشعب الكردي بينها واصدارها قراراً ضد قيام دولة في كردستان العراق ....أنا مع استقلال ذاتي كامل fell autonomy في كردستان العراق ضمن الدولة العراقية الديمقراطية مع نظام فدرالي ديمقراطي للدولة العراقية يتساوي فيه الكرد مع العرب.

ان ما يميز الاممي عن القومي هو انه ليس دائماً مع الانفصال ولكنه على الدوام ضد تمتع اي قومية بامتيازات على حساب قومية اخرى. ضد جميع الامتيازات ومع المساواة, يجب ان تكون الدولة العراقية مشتركة بين العرب والكرد والخ... على ان يتمتع الكرد بكامل حقهم في ادارة شؤونهم بانفسهم في اقليمهم كردستان العراق مع ارتباطهم ببغداد برابطة اتحادية " فدرالية". وللفدرالية درجات لاتعد ولا تحصى تبعاً للظروف التاريخية الملموسة. وكلما نمت الديمقرطية في البلاد ونضجت وتتطور ادارة السكان المحليين شؤونهم بانفسهم وهذا يعني الحكم المحلي, والنظام الديمقراطي لاي دولة فيها اكثر من قومية واحدة تسكن اقليمها المعين وتقضي اقامة دولة ديمقراطية فدرالية اي اتحادية الى هذه الحد او ذاك وهنا بيت القصيد.

والفدرالية لاتعني مطلقاً اللامركزية أو تعدد المراكز كما لاتعني المركزية المطلقة كما هو الحال الآن في العراق وفي جيرانه. بل ان الفدرالية او الاتحادية إنما هي المركزية/ الديمقراطية بجانبيها المتلازمين, والخطر الآن الذي يهدد العراق وبضمنه كردستان العراقية. هو المبالغة في اتجاهين متعارضين: خطر المركزية المطلقة التي تتنكر لحق االشعب الكردي في ادارة شؤونه بنفسه ضمن اقليمه كردستان وخطر المبالغة في الفدرالية إلى حد نكران المركز العراقي الواحد لكي يتحقق انفصال فعلي تحت واجهة فدرالية. والخطر الأول هو الأكبر الآن في جانبه ليس صدام حسين فقط بل الجيران أيضاً في حين أن المغالاة من جانب الفدراليين لا تخدم قضيتهم بل خصومهم.

قد تقول أن ذلك كلام عام والمطلوب بحث قضية عينية ولكن ما العمل وأنا بعيد عن مراكز الجدل وغير مطلع على تفاصيل ما يدور حوله إن الجدل والمناقشة العامة حول الموضوع هي الكفيلة بالوصول إلى نتائج عينية.

ومهما كانت الوعود والضمانات التي تأتي للكرد من الخارج فإن مصير الشعب الكردي في العراق يبقي معلقاً بمصير الشعب العراقي عامة. إن كردستان اليوم قاعدة قومية للمعارضة العراقية وستلعب دوراً في غاية الأهمية في تحرير الشعب العراقي من الدكتاتورية , غير أن القرار الفاصل سوف يبقى في بغداد بالذات. وبغداد ليست مجرد عاصمة للدولة, بل هي قلب العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادي وفيها أكثر من ربع سكان القطر ونصف طبقته العاملة. وما لم تنهض جماهير بغداد مع حاميتها العسكرية لن تسقط الدكتاتورية . وهذا ما تعلمنا أياه تجربة تموز /1958 الظافرة وتجربة أذار/1991 الفاشلة على السواء خلال ثلث قرن. وقد سمعت بإذني من الأخ مسعود البارزاني قولة:

– لقد اعتمدنا على وعود قوى خارجية. باعتنا أخيراً ببرميل نفط.

وقد كان يتحدث عن تجربة أواسط السبعينات إذ تآمرت أمريكا وشاه ايران مع صدام حسين بعقد اتفاقية الجزائر لخنق الثورة الكردية. وبامكان كردستان العراق في يومنا هذا أن تلعب دوراً أساسياً ايضاً قي الثورة العراقية بأسنادها لبغداد وحرصها على مصير الدولة العراقية واستقلال البلاد وسيادتها الوطنية لتقدم بغداد على خنق الأفعى.

إن مولد دولة جديدة عملية صعبة ولا أصعب. و مخاض الدولة الكردية بخاصة طويل. وقد بدأ منذ الحرب العالمية الأولى وسوف يستمر سنين أخرى ولكن النتيجة المحتومة فلا بد أن يتشكل الشعب الكردي كدولة. مهما طال المخاض. فهذا طريق جميع الشعوب المتحركة. الحية. المناضلة من أجل حقها في إدارة شؤونها بنفسها. والنتيجة لامرد لها والمهم هو أختيار الطريق الأقل إيلاما. وتمييز الصديق الصادق من الصديق الزائف. والإمكانات الحقيقية من الأوهام . ومن سار على

الطريق الفعلى وصل وقد اكتسب حركة الشعب الكردي الوطنية في العراق تجربة غنية جداً ونادرة. اكتسبتها بثمن باهظ جداً وحرام عليها أن تضيعها.

القوميون العرب يحرمون على الشعب الكردي تقرير مصيره بنفسه وكذلك يفعل الأسلاميون, وأخال أن بدأت حركة التحرير الكردي الرسمية جنباً الى جنب مع حركة التحرير العربية في وقت واحد وضد خصم واحد هو الشوفينية التركية التي استولت على الدولة منذ ثورة 1908 وحتى انهما اندمجتا في تحالف ضد الشوفينية التركية وسال الدم الكردي مع الدم العربي في كفاح مشترك. وقد تكونت حتى الآن عشرون دولة عربية ويزيد, ولكن الظروف الدولية الخاصة بالمنطقة حالت دون قيام دولة كردية . فلماذا يستكثر القوميون العرب على الشعب الكردي دولة كردية؟ هل نسوا تأريخ الحركة التحريرية العربية بعد ان صارت لهم دولاً؟

لاشك في وجود خلاف بيني وبينك (هادي العلوي - ج) بصدد البيريسترويكا. فرأيي فيها هو انها حركة تجديد احبط وانتهت الى كارثة. اقول هذا بصرف النظر عن نوايا الافراد من امثال غورباتشوف الذين لعبوا دوراً خطيراً جداً فيها. فقد كانت الدولة السوفيتية الاشتراكية والحزب الشيوعي كلها في حاجة الى تجديد, والامراض التي شخصت كالبيروقراطية والجمود والتحجر الفكري والانعزالية واغتراب الشغيلة عن ادارة الانتاج والتخلف التكنولوجي الخ...امراض مزمنة حقيقية. ولم تكن مختلفة وكانت اسوأ نتائجها السلبية –اللا مبالاة السياسية التي تركتها في نفوس الجماهير والتي تجلت في السنوات الاخيرة بأسوأ مظاهرها وادت الى تشرذم الحزب الشيوعي واختيار يلتسن المغامر البونابارتي رئيساً لجمهورية روسيا وتجاربه لاعادة الرأسمالية وتحميله اعباء الازمة الاقتصادية على كواهل اوسع الجماهير وتذلله لآمريكا,

وقد رحبت انا بالمصارحة والوحدة في التعدد وحق الاقلية في الدفاع عن رأيها ومحاولة اقناع الاكثرية به مع الخضوع لحكم الآكثرية والخ... في حين كنت اعاني من التقاليد القديمة, التي لاتبيح للمخالف سوى الآحتفاظ بالرأي " في صدره على ان لايبوح به لآحد. لآن التبشير برأيه الشخصي كان من المحرمات وقد شققت انا بنفسي عصا الطاعة على هذا التقليد الذي يجعل من المركزية الديمقراطية مركزية مطلقة ومن الحزب السياسي مؤسسة عسكرية او حلقة دراويش. فبشرت برأيي الخاص في قضية الدفاع عن الوطن بعد ان اهمل الحزب رأيي..

اما حكمك علينا نحن الحرس الحزبي القديم بالأرتباط التقليدي بالسياسة السوفيتية واعتبار كل ما يصدر عن الاتحاد السوفيتي صحيحاً بدون مناقشة " فهو حكم مطلق يعوزه التحديد. فقد كنا نجادلهم بعناد عندما يقدمون لنا نصحاً او نقداً يتعلق بسياستنا نحن حتى لو كانت سياستنا انعزالية او مغامرة. ونلومهم لأنهم لايدعمون مثل هذه المغامرات. كنا نعترف في أنهم اقدر الأحزاب خبرة في تحديد الخطة العامةللحركة الشيوعية العالمية, ومع ذلك فقد خرجنا حتى عن هذا الاعتبار عندما تحيزنا للمقال الصيني المعروف" تحيا اللينينة " الذي انحزنا اليه وكنا من الأحزاب القليلة التي نشرته. فقد نشرنا في جريدة حزبنا المركزية "اتحاد الشعب" عام 1960, ولكننا سرعان ما ندمنا وركبنا شعور عنيف بالاثم, وعاقبنا انفسنا بعقوبات صارمة بالتنحية عن المراكز القيادية. وكان أسوأ رد فعل لذلك هو الإيمان بمعصومية القادة السوفيت بكل ما يتعلق بالمسيرة العامة للحركة الشيوعية العالمية ومن باب أولى بشؤون الاتحاد السوفيتي. ولم نعد نتصرف كتلامذه شيوعيين يتبعون معلمهم كما كان يفعل تلامذ أفلاطون, بل صرنا متلقين في كل ما يتعلق بشؤون غيرنا ولتبرير سلبيتنا في هذا الصدد نسوق: فقر تكويننا النظري والتقاليد الديمقراطية لدينا والنقص في تجربتنا السياسية ولاسيما في الميدان الدولي, بيد أن ضعف الشعور بالمسؤولية الأممية ازاء الحركة هو السبب الجدي, لابد أنك قرأت حديث ليغاتشوف عن"لغز غورباتشوف" في الثقافة الجديدة وأنا أميل إليه مني إليك بحق غورباتشوف, فهو لم يكن فاسداً من البيضة, ولكنه تحمل حملاً تأريخيا فوق طاقاته فتدهور تدريجياً إلى المستنقع هاجم جميع طواحين الهواء. بما فيها الفودكا في أن واحد, وأراد إصلاح جميع العلل المزمنة في آن واحد في حين كان يجب عليه أولاً أن يبدأ بمعالجة الأزمة الاقتصادية التي بدأت في

السبعينات وضيع خمس سنوات (1985—1989) حتى ترك الشعب يتضور جوعاً بالمعنى الحرفي للكلمة ليكفر بالإشتراكية,بعد ان سكب دماءه انهاراً دفاعا عنها . .. وينتظر الصدقات المذلة . من البلدان . الرأسمالية.

ان خطيئة غورباتشوف الميتة الاخرى هي انه لم يعتمد على اقناع اوسع الجماعات ولا حتى جمهرة الحزب بل على اقلية من المثقفين المعجبين بالنمط الحياة الرأسمالية الاستهلاكية . ولكن هؤلاء سرعان ما نبذوه والتفوا حول المغامر يلتسن لانه "اجرأ "خصومة للاشتراكية ، كما اجمع اقطاب الامبريالية.

وهذا هو السبب الرئيسي لفشل البيريسترويكا باعتبارها حركة تجديد اي عدم اعتمادها على حركات الجماهير . انما نعانيه الان هو من فشل البيريسترويكا وليس من نجاحها, ولقد فشل يلتسن في ادخال التحول الرأسمالي السريع, وتجابه الاشتراكية الفعلية ولادة جديدة ولكنها صعبة ولن تكون عودة للماضي فالماضي لايعود . سوف تكون اشتراكية مجددة ، بسمات وقسمات جديدة . ومن دون العلل القديمة وكذلك الحزب الشيوعي بواجهة ولادة جديدة وسينهض مجددا بعد ان يتخلص من علله القديمة.

الأمة الكردستانية عبر التأريخ

عوامل تكونها جغرافياً – تاريخيا - نفسياً

بقلم/ د.وهبية شوكت

لاشك أن عوامل المناخ وجغرافية الارض، ووجود الاراضي السهلية الشاسعة أو السواحل البحرية الممتدة أو الاراضي الصحراوية الرملية أو الجبلية الوعرة قد تؤثر على تكوين المجتمعات ونفسياتهم، وهذا ما يؤدي الى نتائج ايجابية أو سلبية في مسيرة تأريخ الشعوب .. فمثلاً ترى أن العوامل النفسية المؤثرة على الشعوب التي تكونت في الاراضي السهلية الممتدة تختلف عن العوامل النفسية التي أثرت على الشعوب القاطنة في الاراضي الجبلية المغلقة، وهي بدورها كغيرها تؤثر على القبائل الصحراوية الرملية .. كما أن نفسية الشعوب في المناطق الاستوائية تختلف عن نفسية الشعوب الشمالية الباردة..

وكذلك الحال إن كانت الاراض المسكونة من قبل الشعوب اراضي منعزلة عن الطرق الرئيسية أو تشكل جسراً طبيعياً بين أراضي بلدان مختلفة.. وكذلك وجود الخيرات الارضية والجوفية وثراء الارض ومدى خصوبتها ووجود المياه تؤثر بشكل كبير على العوامل النفسية للشعوب وتحدد مسيرة تأريخ هذه الشعوب. فلو أمعنا االنظر في تأريخ كردستان نجد:

1- يشكل الشعب الكردي إحدى القوميات الاربع الاساسية في المنطقة إلى جانب العرب والفرس والاتراك.

2- توجد في الامم المتحدة 161 دولة (عدا الجمهوريات الاوروبية الشرقية المستقلة مجدداً) ومن هذه الدول فقط 31 دولة تعداد سكانها اكثر من كردستان.

3- توجد دول مستقلة تعداد سكانها 31 الف نسمة فقط.. ودولة الكويت التي كادت تؤدي الى حرب عالمية ثالثة من اجلها تعداد سكانها الاصليين اقل من نصف مليون نسمة.. وقد خسرت البشرية مليارات الدولارات في هذه الحرب علاوة على قتل وتلوث البيئة,.

4- مساحة كردستان تبلغ ما بين (500-550)الف كم2 رغم ذلك توجد دول مستقلة مساحتها لاتبلغ مساحة مدينة صغيرة من كردستان، فبعض الدول الاوربية المستقلة مثل الفاتيكان نصف مدينة، او موناكو مدينة جبلية صغيرة مع

ساحل صخري.. لكسمبورغ، وكذلك في الخليج مثل الامارات وقطر والبحرين وعمان وغيرها، هذه دول صغيرة لاتتعدى مساحتها عدة كيلومترات وكذلك توجد في افريقيا وامريكا اللاتينية واسيا دول صغيرة جداً .

5- يتكلم شعب كردستان لغة واحدة في جميع اجزائها، في حين توجد أمم متقدمة تتكلم شعوبها عدة لغات مثل سويسرا حيث يتكلم السويسريون باللغات الفرنسية والالمانية والايطالية والرومانية ... كما يتكلم الكنديون باللغة الفرنسية والانكليزية.

6- التاريخ المشترك: يشكل تاريخ كردستان امتداداً طبيعياً لشعب كردستان منذ العصور الحجرية- البرونزية لحد الان، ولم يغير الشعب الكردي منذ بداية تكونه ليومنا هذا هويته ولالغته ولاكيانه القومي رغم كل ما حدث له.....

7- المصير المشترك: يشترك شعب الكردستان في جميع مراحل تاريخه ورغم تجزأة اراضيه عدة مرات في التاريخ لكنه لازال يشكل المصير المشترك للشعب الكردستاني أحد أركان تكوينه الشخصي بينما نجد أمما مثل امريكا واستراليا ونيوزلندا وكندا وامريكا اللاتينية قد كونت أمما من شعوب اوربية مختلفة.

ورغم هذه العوامل الايجابية نجد أن الشعب الكردستاني قد فشل في تكوين امة كردستانية موحدة ودولة كردستانية مستقلة، الا في فترات متباعدة حيث استطاع الكردستانيون من تشكيل شبه امبراطوريات مثل الميثانية وللورستان واللولو أو امبراطورية كبيرة مثل ميديا وغير ذلك عاشت الشعوب الكردستانية في دويلات صغيرة منعزلة عن بعضها وعن العالم لفترات طويلة من تاريخها العريق والاسباب هي:

أ- الجغرافية:

1- طبيعة الارض حيث تشكل الاراضي الكردستانية شكلاً يشبه المنجل كما يقول مينورسكي رأس المنجل يبدأ من جنوب قونيا على البحر المتوسط وخليج اسكندرونة ويرتفع شمالاً وشرقاً مع سلسلة جبال (طوروس) ثم سلسلة جبال (ارارات) لتشكل القوس المنجلي ممتداً الى البحر الاسود ومتجها الى الشرق حيث سلسلة جبال (القوقاز)، وبعد عدة فراسخ جنوباًتمتد السلسلة الجبلية ليد المنجل بمحاذاة جبال زاغروس الى الجنوب باتجاه الخليج العربي. كما تكون سلسلة جبال حمرين الحدود الجنوبية الطبيعية للقوس المنجلي.

2- الموقع الاستراتيجي : وهذا الامتداد الشاسع من الاراضي الجبلية الوعرة يكون جسرا طبيعياً وعراً بين الشمال والجنوب والشرق والغرب حيث تربط اراضي كردستان اوربا مع منطقة الشرق الاوسط من جهة، وكذلك حوض البحر الابيض المتوسط وشمال افريقيا (مصر خاصة) مع قارة آسيا من جهة اخرى.

3- عبور القوات الغازية: هذه الجغرافية جعلت من اراضي كردستان طرقا برية وعرة لكنها قصيرة (نظرا للطرق البحرية الموجودة آنذاك)للجيوش الغازية لامبراطوريات من الشمال والشرق والجنوب والغرب، حيث نجد ان جيوش هانيبال واسكندر المقدوني وكورش الفارسي: وهولاكو وجنكيزخان المغولي التتري، وطأت اراضي كردستان باحذيتها الثقيلة عدة مرات في التاريخ.

4- استقرار الغزاة : نجد رغم هذا ان الجيوش الغازية او(الاصح العابرة) قلما استقرت في ارض كردستان وبنت مدنا وحضارات، فمثلاً نجد ان ارض كردستان كانت جسراً لعبور قوات هانيبال كما كانت الاسكندر المقدوني حيث عبرت قواته عبر اراضي كردستان غربا الى مصر، وشرقا الى بلاد فارس والهند، وجنوبا الى بابل لكنها لم تستقر في كردستان ولم تأسس اية مدينة، بينما اسست مدن بأسم الاسكندرية في تلك البلاد الانفة الذكر.. ولم تستقر القوات الرومانية فيما بعد في كردستان حيث بنت هذه القوات المدن والحضارات في مصر وسوريا وفلسطين والاردن ولبنان، ولكنها لم تأسس مدينة واحدة في كردستان رغم ان التاريخ يدلنا بان القوات الرومانية كانت تدخل الاراضي الكردستانية وتحارب الساسانيين

المحتلين لكردستان وخاصة توجد امثلة لمعارك دارت بين الفرس والرومانيين على مشارف مدينة اربيل القديمة. رغم هذا استقر الرومان في ارض الروم.

5- تكوين دولة كبيرة موحدة: ولهذا السبب ايضا نجد ان طبيعة ارض كردستان ووعورة الطرق وصعوبة الاتصال بين الشعب الكردستاني وكذلك برودة المناخ وكثرة الثلوج التي كانت ولازالت تغطي جبال كردستان معظم اشهر السنة، وجعلت من الشعب الكردستاني منعزلا متقوقعاً قانعا يفضل فلاحة الاراضي الصخرية على الاختلاط بالشعوب والتجارة وتبادل المنتوجات وغيرها حيث تولد الطموحات لتكوين طرق تجارية وايجاد الاسواق لتصريف المنتوجات وبذلك تدعو الحاجة لحماية هذه المصالح الى جيوش والى دول قوية تاسس الجيوش وتتوسع في مصالحها لانشاء الامبراطوريات الكبيرة الطامعة في الغير.

6- عدم وجود سواحل بحرية: ان لارض كردستان منافذ بحرية، ولكن لا توجد سواحل بحرية ممتدة فاذا تتبعنا تأريخ الامبراطوريات القديمة والدول العظمى نجدها تشكلت في الاراضي التي تمتد لمئات الكيلومترات من السواحل البحرية، وان الاراضي هذه عبارة عن جزر داخل البحار. وبما ان الطرق البحرية كانت ولازالت من اهم وسائل المواصلات لنقل المواد والجيوش والعتاد وتكوين الاساطيل البحرية كذلك للتبادل الثقافي والحضاري بين الاعراق البشرية المختلفة، نجد ان الشعب الكردستاني قد تخلف كثيرا عن مواكبة مسيرة الشعوب العريقة القديمة في التبادل التجاري والثقافي والحضاري، وبذلك بقي بعيدا منعزلا متقوقعا في محيطه الزراعي قانعا بطريقة معيشته في اراضي جبلية وعرة بعيدا عن الطموحات والتطور، تاركاً الاراضي السهلية والسواحل البحرية للشعوب الاخرى تستقر فيها, وجاعلاً بينه وبين هذه الشعوب تلك الجبال الشاهقة حدوداً طبيعية له, وعازلاً طبيعياً عن التطور القادم من الشعوب الاخرى.

ب – الخصوصية الانثروبولوجية:

ظهر الانسان على الارض قبل مليون سنة تقريباً, وكان هذا الانسان يتحرك في موجات بشرية طلباً للقوت والمأوى من الحيوانات الوحشية ولاشك ان القبائل الكردستانية الاولى استوطنت اراضى ميزوبوتاميا, وكانت من الموجات البشرية الاولى, حيث يدلنا التاريخ على عدة مصادر لاصل الانسان الكردستاني.. المصدر الاول يقول: بأن الاكراد من هذه الاراضي وبقوا فيها. والمصدر الثاني أن الاكراد قبائل ارية جاءت من اوروبا من مجموعة القبائل (الهند أوروبية), ومصدر أخر يقول: بأن الاكراد تكونوا في المنطقة المحيطة ببحيرة اورميا, ورغم كل هذه المصادر فنحن نعلم بأن الاكراد قد سكنوا اراضي كردستان في فترة ما بين العصور الحجرية والعصور البرونزية, وحتى لو أتوا من مناطق أخرى فإنهم كانوا اول الشعوب البشرية المتحركة والقاطنة في هذه الاراضي دون شك!!

أما الموجات البشرية الثانية, فقد كانت بشكل آخر حيث بدأت في بداية تكوين المجتمعات العبودية وانتقال الانسان من المشاعات البدائية, وكانت هذه الموجات على شكل غزوات من قبل المشاعات البدائية القوية, وأكثر بدائية وتوحشاً لمشاعات اكثر تمدنا التي طورت بعض وسائل الانتاج الاولية للزراعة.

وهنا يكمن ذكر الاشوريين كمثال حيث استولوا على بعض المشاعات البدائية المستقرة المسالمة في أراضي ميزوبوتاميا, كما كان مع العيلاميين (الارامين) حيث تحركوا فيما بعد إلى منطقة(وان) واستولوا على بعض المشاعات البدائية المستقرة هناك, كما كان مع الموجات الاولى من الحثيين في الشمال.. وكذلك بعض الموجات الساسانية المتحركة من الشرق, حيث وجدت سهولاً واسعة ممتدة شرقاً من سلسلة جبال زاغروس وكذلك تم استقرار الشعوب العرقية السومرية والبابلية والاكادية في المناطق الجنوبية من ميزوبوتاميا في دلتا الرافدين, كما سكنت الشعوب العيلامية والارامية إلى الغرب في سوريا

وفلسطين ولبنان, والفراعنة في دلتا النيل في مصر, وقد ترك الاكراد هذه الشعوب في سلام مدة طويلة, رغم أن بوادر ظهور النواة الاولية للدولة ظهرت عند (الكوتيين) في الشمال واللولو في جنوب كردستان قبل هذه الشعوب.

وبما أن هذه الشعوب قد استقرت في الاراضي المحيطة بكردستان التي كانت اكثر انبساطاً وفيها سواحل بحرية او منافذ بحرية وأكثر سهولة لفتح القنوات والطرق والمواصلات, فإن هذه الشعوب المجاورة استفادت من استقرارها اكثر مما كان للاكراد القاطنين في أراضي جبلية وعرة تصعب فيها الزراعة وفتح القنوات المائية والتنقل, وبذلك أصبحت ذات حضارة, هذه الشعوب فيما بعد تشكل خطورة كبيرة على شعب كردستان بعد ان تقوت واصبحت ذات الحضارة كما كان مع الحثيين والعيلاميين أول الامر والاشوريين ومن ثم الفرس الساسانيين فيما بعد ..

اما الموجات البشرية الثالثة حيث كانت بشكل غزو جيوش الامبراطوريات المتكونة على اساس المجتمع العبودي, وكانت جيوش الاغريق والرومان تتجه شرقاً وجنوباً والجنوب الغربي طلباً للخيرات وتوسيع الرقعة الارضية وترسيخ حضاراتها المتكونة على اكتاف استعباد الاقلية للاكثرية, حيث استوطنت هذه الجيوش في تلك المناطق المجاورة لارض كردستان, استقرت عوائل القوات والجنود،وفيما بعد تكونت حضارات ومدن ومستوطنات هيلينية أغريقية وبيزنطية رومانية في تلك الاراضي المجاورة لكردستان, ولم تستقر في اراضي كردستان إلا نادراً لو عورة الاراضي ولعدم وجود السواحل البحرية, ولصعوبة الغزاة في تحصين انفسهم أمام هجمات السكان الاصليين المعاديين للغزو.

أما الموجات الاخرى فكانت خطورتها أكثر على اراضي كردستان, وبدأت من القبائل الساسانية التي تغلغلت في الاراضي الكردستانية اكثر واكثر, وفيما بعد تقوت مستفيدة من حضارة ولغة وديانة الاكراد, وهاجمت امبراطورية كردستان(ميديا) وقضت عليها وفيما بعد قد سميت كل ميراث هذه الامبراطورية ميراثاً تأريخياً للفرس زوراً.

كما بدأت القبائل العربية من الجزيرة العربية تتحرك شمالاً وشرقاً, واستوطنت قسم من هذه القبائل المجاورة للفرس في جنوب ميزوبوتاميا, وقسم مجاور للبيزنطيين في سوريا ولكنهم لم يشكلوا خطورة على ارض كردستان إلا في عصور الفتوحات الاسلامية.

اما أخطر واشرس الموجات البشرية لاراضي كردستان كانت الموجات البشرية المتوحشة من اواسط اسيا اول الامر, بمجموعات صغيرة طلباً للمياء والعشب, وسكنت في الاراضي المجاورة لكردستان وهي الاتراك السلجوقيين (الاوغور), وقد تزامن مجيئهم مع دخول الأكراد وأعتناقهم الديانة الاسلامية مما جعل هؤلاء يستفيدون من هذه الديانة وحضارة الشعوب, وكانت هذه القبائل قبائل صحراوية من الرعاة القساة المتوحشين كونوا مستوطنات صغيرة مجاورة للكردستانيين الارمن, وسرعان ماظهرت صفاتهم البدائية والاستغلالية.

وفيما بعد وفي متصف القرن الثالث عشر, مستفيدة من تجربة ابناء عمومتهم اجتاحت ارض كردستان أخر الموجات البشرية من قبائل المغول والتتر المتوحشين بقيادة هولاكو وجنكيز خان وتحركت هذه الموجات المتوحشة من اواسط اسيا واحتلت بلاد الاناضول (القسم الشمالي من اراضي كردستان) ثم تحركت جنوباً وغرباً واحتلت جميع اراضي ميزوبوتاميا والشرق الاوسط, وقضت على الخلافة العباسية وكونت مستعمرة كبيرة بعد اخضاع الشعوب الاسلامية تحت سيطرتها. وبذلك تكونت الامبراطورية العثمانية.

ج- التحولات التاريخية الكبرى في كردستان والفراغات ما بين هذه التحولات:

ظهرت المستوطنات الاولى في ميزوبوتاميا في العصور ما بين العصر الحجري والبرونزي حيث عاش الانسان في الكهوف الموجودة في الجبال واسس المجتمعات البدائية الاولى هناك, ورغم عدم وجود الحفريات الاثرية في المناطق الاثرية في كردستان وذلك بقصد من الحكومات المتعاقبة على استعمار اراضي كردستان والقول بعدم جود البراهين التاريخية لحضارة

كردستان العريقة.. لكن رغم ذلك فبعض الحفريات اثبتت بشكل قاطع على وجود المستوطنات البشرية والنواة الاولية للحضارات البشرية حيث وجدت في كهوف (شاندر) و(حصار وست) و(هزار ميرد) وكهف (القساوسة) الخطوط الاولية للحضارات البدائية هنالك.. كما أن الاثار المكتشفة في قرية (جەرمو) في بازيان (في الجنوب), وقرى وأثار حول بحيرة (وان) وبحيرة (اورميا) تؤكد على وجود مجتمعات بشرية زراعية عرفت طريقة خزن بعض أنواع الحبوب مثل القمح والشعير والعدس وتربية بعض الحيوانات الداجنة مثل الماعز, وذلك فيما بين عصور(3500-4500) قبل الميلاد, وكانت هذه القرى النواة الاولى للمجتمعات الزراعية الحضارية فيما بعد كما اسس الكوتيون(خبين) النواة الاولى للتمدن و الدولة في الشمال وأسس اللولو النواة الاولى للحضارة في الجنوب الشرقي من كردستان حول سهول شهرزور في محيط مدينة حلبجة.

وكامتداد للحضارتين الانفتي الذكر, تكونت الميثانية كشبه امبراطورية وامتدت إلى جميع اراضي كردستان تقريباً وكانت اللغة الرسميةاللغة الكلهورية(لغة الابطال), ترسخت الحضارة والمدنية في عهد الميثانيين كما أخذت الشعوب المجاورة تعقد الصفقات التجارية والاتفاقات السياسية مع هذه الدولة, وكذلك لرد هجمات الحثيين من الشمال والاشوريين من الجنوب الغربي.

وعقدت الدولة الميثانية اتفاقية مع الفراعنة في مصر, كما عقدت اتفاقات مع البابليين و السومريين والاكاديين في جنوب ميزوبوتاميا, وأصبحت المعابد الكبرى تظهر في اراضي كردستان في هذا الوقت مثل معبد عشتار في مدينة اربيل القديمة و اصبحت من المعابد الكبيرة يأتي لزيارتها الملوك والامراء من البلدان المجاورة فضلاً عن معبد(تيداهيبا)قرب كرمنشاه وتأسست حوالي1700 قبل الميلاد دولة لورستان على سلسلة جبال زاغروس, وحدث أول تحول في تاريخ الشعب الكردستاني عندما استولى الاشوريون في زمن اشور هانيبال على اراضي كردستان وسيطروا على جميع الاراضي المجاورة لها واراضي ميزوبوتاميا ووصلوا إلى مصر غرباً واحتلوا اراضي الارمن والحثيين شمالاً وشرقاً وأسسوا امبراطورية كبيرة معروفة بقوتها ووحشيتها..

لكن رغم ذلك لم تستقر هذه الشعوب تحت سيطرة هؤلاء وبدأت تثور وكانت الغزوات مستمرة على الدول الاشورية, ويدلنا التاريخ بأن بعض هذه الغزوات كانت تقودها النساء, ومن الادلة التاريخية على قيادة النساء للغزوات مثلاً سميراميس, وكانت راعية في منطقة (وان) واحبها أحد الامرا الاشوريين وتزوجها, وكانت تقود الحملات والغزوات ضد الشعوب الكردستانية والارامية الواقعة تحت سيطرة الاشوريين, واختلطت الوقائع مع الاساطير حيث نجد ان كلكامش وهو يمثل الطرف الكردستاني المغلوب على أمره يحارب ويصارع (شمشون جبار) في جبال كردستان(بيره مه كرون قرب السليمانة) وذلك ليرضى عشتار الام (والمرأة) (رمز الارض) في محاولة لتحرير ارض كردستان, وفي نفس الوقت تدلنا الحوادث التاريخية بحدوث معركة ضارية بين الاكراد وسرجون الاكادي في نفس المكان وانتصار الاكراد وتتزامن هذه الحروب مع محاولة الاشوريين السيطرة على العيلامين (الاراميين) والكردستانيين بطرق أخرى وبدأوا ينصبون الامراء المحليين ملوكاً على شعوبهم. ويدلنا التاريخ على اسم أحد هؤلاء الملوك الصغار من الاراميين حيث يقول في مسلة وجدت على قبره: الملك اشور ملك الشرق والغرب(هويثني على كرسا ابي) أي هو الذي وضعني على كرسي ابي, ويتضح بأن الاشوريين قتلوا أباه اولاً ومن ثم ربوه ونصبوه ملكاً على شعبه موالياً لهم, وكانوا قد اتبعوا نفس الاسلوب مع الاكراد ونصبوا احد الملوك على كردستان من شعبه. لكن هذا الاخير قد ثار عليهم وتوجه الى عاصمة نينوى لمحاربة الاشوريين, ولكنه اخفق في المرة الاولى وتحصن في الجبال الى ان جاءته الامدادات من جميع انحاء كردستان, فتوجه بجيش جبار مستخدماً تقنية تعتبر حديثة جداً أنذاك حيث كانوا يدهنون النبال بالزيت ومن ثم الكيروسين وتنزلق هذه النبال على أوتاد الاقواس ببطىء شديد, وكانت الاوتاد الحريرية تولد شحنات كهربائية بالاحتكاك مما يجعل الكيروسين يشتعل وبذلك يستفاد من النار أيضاً..

وقد عانت الشعوب من قسوة الاشوريين كثيراً لذلك كانت الجماهير تراقب بشوق كبير نهاية الاشوريين وذلك حين دك الميديون الكردستانيون قلاع الاشوريين بهذه الاسلحة النارية العجيبة, والتي كان يستمر اشتعالها على سطح مياه نهر دجلة كما ان الميديين حين قضوا على قلاع الاشوريين, اسسوا امبراطورية مترامية الاطراف امتدت الى ضفاف الدجلة جنوباً وعقدوا مع البابليين اتفاقية السلام وعدم الاعتداء وكانوا هم الذين حرروا البابليين, كما انهم زوجوا بناتهم إلى البابليين فيما بعد وامتدت امبراطورية ميديا إلى طهران الحالية شرقاً وإلى جورجيا وارمينيا والقوقاز في الشمال الشرقي, واراضي واسعة من الغرب, وبرع المديون في هندسة بناء القلاع والحصون وفتح قنوات المياه واخذت الشعوب المجاورة تستفيد من خبرتهم, وبنوا عاصمة لهم قرب مدينة كرمنشاه الحالية(مدينة اكباتان) كما تقدمت اللغة الكلهورية الكردية والكتابة المسمارية وأصبحت لغة الكلهور اللغة الرسمية, وافيستا كتاباً مقدساً والديانة الزرداشتية ديانة الامبراطورية, كما حافظت المعابد والديانة الوثنية على الاستمرار.وكان في معبد(تيداهيبا) الهة النساء الحوامل والاطفال وزوجها اله شعوب, اله المطر والزرع قرب كرمنشاه من أكبر المعابد في الشرق, وتحركت هذه الالهة شرقاً وأصبحت (ميتدا) لدي الهنود كما تحركت عشتار شمالاً وشرقاً وأصبحت (افردويت) في اليونان و(فينوس) في روما و(قبيليا) في الاناضول.

ولم تدم فرصة الكردستانيين طويلاً حيث تقوت القبائل الساسانية الاتية من الشمال والشرق والمتمركزة بمحاذاة حدود كردستان الشرقية وذلك بقيادة (كورش), واجتاحت بلاد ميديا وقضت عليها, وتأسست الامبراطورية الساسانية الاولى واستخدمت هذه الامبراطورية لغة وحضارة وديانة الميديين لعصور طويلة, ثم بدأت بتقديم لغتها في المجالات الرسمية وبدأت باستخدام لغتها المزوجة مع لغة افيستا (الكلهورية) في البلاط والدوائر الرسمية, وحورت الديانة الزرداشتية إلى ديانة المجوسية وأصبح كل حضارة وميراث الامبراطورية الميدية ميراثاً للفرس الساسانيين زوراً, فلو تصفحنا اكبر المصادر التاريخية للفرس وهو كتاب (الشاهنامة) للفردوسي, نجد ان تاريخ كردستان قد تحول الى تاريخ الفرس وامحيت معالمه الكردستانية (الميدية) تماماً. ويوجد فراغ هائل بين هذه الفترة من تاريخ كردستان. وهنا كيف استطاع الساسانيون السيطرة التامة على الميديين وهل قاوم الميديون ام لا؟!!

يدلنا المؤرخ الاغريقي هيرودتيس على بعض المعالم لهذه الفترة حيث (كسينفون) اليوناني قد تربى عند كسرى الفارسي ولكنه ساعد اسكندر في حملته ضد الامبراطورية الفارسية, ويقول هيردوتيس: بان هذا القائد التقى بالاكراد الكوتيين ويتحدث بعض اللغويين و منهم البروفيسور كورديف بانه من المحتمل ان كسينفون كان يعرف اللغة الكلهورية (الكردية), لان هذه اللغة رسمية ومن ثم اللغة الاستقراطية في قصور الملوك والامراء, ولهذا كان كسينفون يتفاهم معهم بشكل اعتيادي لمعرفته باللغة في قصور كسرى كما ان جيوش كسرى عندما عادت من بلاد الهند بمحاذاة ساحل بحر العرب وعندما وصلت الى نقطة, واعترضتها الجبال الشاهقة وشعوب مختلفة تماماً دلتهم على الطريق, وكانت هذه الشعوب هي أيضاً شعوبا كردستانية من (لورستان) وكل هذا يدل ان حضارة ولغة الميديين لم تكونا جديدتين على اليونانيين والمقدونيين حيث كانت بلاد كردستان تلقب بميديا عند اليونانيين طويلاً, وعلى الخريطة ترسم بلاد ميديا.

وقد حدث تحول كبير أخر في تاريخ كردستان, حيث بدأت الحملات في عهد الخلافة الراشدية في زمن عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين وبدأت الحملات بحرب القادسية ضد كسرى الفارسي في جنوب ميزوبوتاميا, حيث استطاع عمر بن العاص الانتصار على جيوش كسرى انو شيروان بقيادة (رستم) والذي قتل من قبل أحد القادة المسلمين (القعقاع), ومن ثم وصلت الحملات الاسلامية شمالاً الى جنوب كردستان بقيادة (عبيد الله بن طلحه) ومن ثم شمال كردستان بقيادة (عمر بن غنيم), ويوجد فراغ ايضاً خلال هذه الفترة هل قاوم الاكراد هذا الدين الجديد؟ وكيف تخلوا عن دين ابائهم واجدادهم الزرداشتية؟

ولايدلنا التاريخ هنا إلا قليلاً من بقاء اضرحة الاشخاص الذين ساعدوا القادة المسلمين في حملاتهم ويتبرك بهم الناس كأشخاص لهم قدسية بينما دورهم لم يكن افضل من دور (الفرسان الحميدية) أو حماة القرى في شمال كردستان, بينما توجد قبور لاشخاص دفنوا أحياء تحت أكوام الحجارة حيث رجموا بالحجارة لمقاومتهم وتمسكهم بديانتهم الاصلية.

أما التحول الخطير فكان في القرن الحادي عشر حيث غزت كردستان من اسيا الوسطى بمجموعات صغيرة من الاتراك السلجوقيين(الاغوزيين), وسكنوا اول الامر مجاورين لارض الاكراد وحاولوا التعلم من مدينة وديانة وحضارة هؤلاء وعندما رأوا بأن الاكراد مستقرون ومتمدنون لحدما, اتخذوا الديانة الاسلامية ديناً لهم واستفادوا من هذا الدين بالتغلغل اكثر فأكثر, ولكن فيما بعد حدث أن استولى أحد الامراء الاكراد القادمين من شمال شرقي كردستان على زمام الامور للاسلام واسس الخلافة الايوبية في كل من مصر والشام وفلسطين, وكانت الخلافة العباسية تعاني من الضعف والانقسام, فانتعشت كردستان خلال هذه الفترة وبدأت المدارس الدينية والمحافل الادبية والثقافية تتطور وبنيت بعض المدن في كردستان مثل مدينة افلاط, كما بدأت الاقليات الدينية مثل الارمن والمسيحيين تنفس الصعداء في ظل هذه الحكومة وتخلص المسلمون من الحملات الصليبية الظالمة من اوروبا, في حين أن جنكيز خان يبحث عن اراضي خصبة وخيرات كثيرة لم يجدها في أواسط اسيا حيث يسكن (التتر والمغول), لذلك استفاد من تجربة أبناء عمومته الاتراك السلاجقة وغزا ارض كردستان من الشمال وتحرك هولاكو جنوباً واحتل بغداد وقضى على الخلافة العباسية وتأسست الامبراطورية العثمانية التي أصبحت بلاء ليس على أرض كردستان والاكراد بل على جميع الشعوب من عرب واسلام ومسيحيين وقد أصبحت الاستانة (استنبول) عاصمة البيزنطيين عاصمة للدولة العثمانية وحول الكنائس إلى مساجد قسراً ودمرت جميع الاثار المسيحية والارمنية باسم الاسلام.

وفي سنة 1514 وتحت اسم المذهب السني للعثمانيين والمذهب الشيعي للايرانيين, حدثت معركة كبيرة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية الايرانية وكان الاكراد ضحية هذه الحرب في الطرفين, وارضهم انقسمت لاول مرة بين هاتين الدولتين حسب معاهدة قصر شيرين, كما ان الامارات التي تاسست فيما بعد في هذين القسمين كانت امارات محلية عشائرية لم تستطع ان توحد جهودها في حرب تحريرية كاملة كما كانت في الشعوب الاخرى العرب مثلاً, واظهر الكثير من الامراء والقادة مثل الشاه محمد(باشاي كوره) في امارة سوران ميول توحيدية كما كانت (امارة بابان) قد انتعشت, وظهرت حركة (البدر خانين) فيما بعد وحركة ئيزدان شير كما كانت حركة (عبيد الله النهري سنة 1880) من الحركات التوحيدية الكبيرة, هذه كانت قبل الحرب العالمية الاولى..

اما بعد الحرب العالمية الاولى انقسمت الارض الكردستانية الى اربعة اجزاء حسب معاهدة لوزان واصبحت (كما يقول الاستاذ اسماعيل البيشكجي): اقل من ارض مستعمرة وشعب كردستان اقل من شعب مستعمرة وكردستان مستعمرة دولية, حيث لا تستعمرها دولة واحدة بل عدة دول, رغم ان البنود (63 – 64) من معاهدة سيفر قد نصت على حق الاكراد في اقامة دولتهم, ولكن القادة الاكراد قد خدعوا من قبل اتاترك بحجج دينية وسياسية وشعر المستعمرون وخاصة الانكليز وشموا رائحة النفط الزكية لذلك تقاسموا ارض كردستان مثلما تقاسموا ممتلكاتهم الاخرى من اراضي الشعب وخيراتها, وفيما بعد حدثت حركات عديدة مثل حركة (الشيخ محمود البرزنجي 1919) وحركات (البارزانيين 1934 – 1945) وحركات (سمكو) وجمهورية كردستان في (مهاباد) وحركة (الشيخ سعيد بيران 1925) وحركة (سيد رضا في درسم في 1938) ولكن هذه الحركات وان ابقت القضية الكردية حية في وجدان التاريخ وعند الرأي العام لكنها لم تبلغ اهدافها المطلوبة في التحرير و الاستقرار والتوحيد

د- العوامل الدينية والديانة الكردستانية التوحيدية:-

لعبت العوامل الدينية دوراً رئيسياً في تاريخ كردستان وكانت الديانة الوثنية قد تأسست في أرض ميزوبوتاميا أول الامر، حيث نجد أن عشتار الالهة السومرية والالهة الاولى تقريباً كان لها أكبر معبد في أربيل، وحتى اسم المدينة يعكس وجود اربعة الهة، وبما أن مدينة اربيل تقع في منطقة سهلية منبسطة لمسافات شاسعة لذلك نراها بقيت من أقدم المدن المسكونة لحد الان في تاريخ البشرية ولهذا السبب اصبحت معقلاً للالهة، وبما أن قوة الدولة ومدى انتشارها كانت تنعكس في انتشار وبالتالي في انتشار الالهة الوثنية.. لذلك نجد عشتار قد انتشرت في اوروبا عبر البحر وأصبحت افروديت في اليونان وفينوس في روما.. وهي نفسها التي امست (اسيس) زوجة (اسيرس وام مورس) كما كانت (تيداهيبا) قد تحركت شرقاً وامست (متيدا) عند الهند وفيما بعد جاءت كلمات تعني هذه الالهة مثل (نافرة) المرأة بالكردية تعني بالاصل (افردويت) الالهة، كما أن (زن)المرأة الكردية المتزوجة قد أخذت من (زن) الهة القمر زوجة اله الشمس(امون)، فنجد أن (زن) من ميزوبوتاميا بينما (امون) اله مصري فهذا يعكس ايضاً التزاوج على المستوى البشري حيث زوج (تارتا ئاما) ملك الميثانيين ابنته الى (امون حوتب) الثالث، ومن ثم خطى ابنه نفس الخطوة فزوج ابنته لنفس الفرعون لكن هذا الفرعون قد مات فتزوجها (امون حوتب) الرابع ليرث العرش عن طريقها،

وكانت في بلاد الميثانيين قد ظهرت النوات الاولى لعبادة ديانة توحيدية واحدة المثلة في قرص الشمس (هوو،سور اوخور)هذا كان في البداية (ابن زن وامون) ولكنه بعد تطور اصبح دون صفات مادية كما هو الحال في الاله التوحيدي حيث اتخذ هذا الاله الطابع الرمزي المثالي وانفصل عن الحياة الاعتيادية التي كانت الالهة الاخرى تحياها، فقد كانت الالهة الوثنية السومرية والبابلية والميثانية والاغريقية والمصرية والرومانية تتخذجميع صفات البشر من الحب والكره والغيرة و التزاوج وغيرها, ولكنها كلها تمتاز عن البشر بالخلود فقط. بينما اتخذ اله الميثانيين التوحيدي شكل الرمزية واقترب من الاله التوحيد للاديان السماوية فيما بعد.. وربما كان هذا بفعل ظهور انبياء توحيديين في ذلك الوقت مثل نوح واسطورة سفينته التي رست عند سلاسل جبال (ارارات جودي) وفيما بعد ظهور النبي ادريس والنبي يونس والنبي ابراهيم في اراضي كردستان.

كل هذه تدل بأن نواة الديانة التوحيدية قد بدأت في كردستان وكانت الديانة التوحيدية لها مسار واحد تظهر في كردستان وتتجه نحو الغرب الى مصر الفراعنة. فالفراعنة كانوا لايحاربون الناس لمعتقداتهم الدينية لذلك نجد أن الاميرة الميثانية تاخذ دينها التوحيدي ويتخذها زوجها الفرعون ديناً له ويبدل أسمه من امون حوتب وكيل اله الشمس الى أخناتوب ابن اله قرص الشمس ويبدل اسم زوجته (تيداهيبا) الى (نفرتيتي) ويقوم الكهنة من معبد (امون- رع) ضده، وتكون اول ثورة دينية توحيدية خرجت من ارض كردستان لكن كردستان تبقى بعيدة عن هذه الديانة التي هزت العالم فيما بعد وتجددت على يد موسى وخروجه مع بني يهودا من مصر.

هذه كانت المرة الاولى حين تخلى الاكراد عن دياناتهم، أما المرة الثانية فقد كانت الديانة الزرادشتية حيث ظهرت هذه الديانة التبشيرية الشبه الفلسفية في ارض كردستان، وكان الكتاب المنزل (افيستا) ايضاً مكتوبا باللغة الكردستانية وبحروف مسمارية (حروف التداول انذاك)ولكن اغتصبها الفرس الساسانيون واتخذوها ديانة دولتهم وفيما بعد حوروها الى الديانة المجوسية، وبقي الفرس متأثرين بهذه الديانة بشدة بعد اسلامهم وظهرت الديانة (اليزيدية)في مناطق (هورين شيخان) و(سنجار)،وقد انتشر هذا الدين الى الشمال الشرقي من كردستان ولازال يعتنق هذا الدين كثير من الاكراد القاطنين في الاراضي السوفيتية (سابقا)، والصلاة وجميع الطقوس الدينية بالكردية.

ه - الاسلام: فيما بعد امن الاكراد بالدين الاسلامي 95 0/0 منهم طوعا أو قسراً وظهرت مدارس ومشايخ دينية كثيرة، كما ظهر اعلام دين كبار وتأسست الخلافة العباسية على يدمسلم من كردستان اسمه (ابو المسلم الخرساني) ولكن الخلافة العباسية حين ترسخت قدماها أدانته بحجة المجوسية والانفصالية. كما انقذ العالم الاسلامي من الحملات الصليبية

المستمرة، اي الحروب بين اوروبا والشرق الاوسط على يد شخص أخر من كردستان وهو صلاح الدين الايوبي الذي توجه من شمال شرق كردستان الى الجنوب ثم الى الشام ومصر واسس دولة اسلامية باسم الدولة الايوبية وقدم اعظم خدمة للاسلام عامة وللعرب خاصة, ولكنه مع الاسف لم يستطع تطبيع الاسلام بالطابع القومي الكردستاني مثل أبو مسلم الخرساني.

وفيما بعد (معركة جالديران) حيث كان المذهب السني للعثمانيين والمذهب الشيعي للصفويين الايرانيين كان سبباً في ذهاب الاكراد ضحية هذين المذهبين في الطرفين، حيث استطاع السلطان سليم العثماني ان يخدع اعلام الاكراد السنيين للفتوى بين الاكراد والدفاع عن الدولة العثمانية باسم المذهب السني وقامت الحرب وكان الاكراد ضحية الطرفين فقتل من قتل وتجزأت ارض كردستان الى قسمين في حين ان الاكراد الذين حاربوا الدولتين امسوا الد اعداء الدولة التي حاربوا من اجلها، ويرينا التاريخ بأن عباس الصفوي أقام سباقا دموياً فريداً من نوعه في تاريخ البشرية حيث أمر بصف القادة الاكراد وقطع رأس كل قائد كردي من قبل ضابط صفوي فالمقتول يكون واقفاً ويقطع بالسيف فجأة وبذلك يتقدم عدة خطوات الى الامام قبل أن يسقط فكانت الجوائز تصرف على الضباط الذين تخطوا ضحاياهم خطوات عديدة الى الامام..

من راى تاريخا دمويا تعرض له شعب من شعوب العالم مثل الشعب الكردستاني. كذلك كانت للمذاهب الدينية والمعتقدات دور في حركات (عبيد الله النهري) و(البدرخانيين) و(امارة سوران) وحرب (محمد شاه) التوحيدية ضد العثمانيين وكذلك البابانيين كما كانت الحركات الكردستانية فيما بعد الحرب العالمية الاولى تطبع بطابع الدين واشخاصها أما شيوخ سادة أو ملالي فالشيخ محمود البرزنجي حارب ضد الانكليز باسم الدين الاسلامي، وكان الشيخ سعيد بيران ايضاً شيخاً والسيد رضا سيداً والبارزاني والده الشيخ عبد السلام وأخوه الشيخ أحمد وهو ملا مصطفى كلهم بطابع ديني، كما كان سمكو في شرق كردستان اقطاعياً صاحب عشيرة ومتدينا، وكذلك كان (قاضي محمد) أحد الاعلام الدينيين الكبار وذهب ضحية لايمانه العميق بالاسلام،

مع كل هذا العدد من المتدينين الانقياء والمخلصين للدين الاسلامي والمفعمين بالروح الوطنية لم يستطع الاكراد خلق حركة دينية اسلامية لخدمة الاكراد، وبعكس الاقوام الاخرى، فقد حكم العرب ربع العالم واستطاعوا ايصال حضارتهم ولغتهم الى اسبانيا شمالاً وافرقيا غرباً وجنوباً،كما جعل الفرس الاسلام في خدمتهم من الايام الاولى حيث اتخذوا المذهب الشيعي وحولوه الى طابع فارسي ولعبوا لعبتهم منذ بداية خلافة العباسيين واسلامهم (الاكثرية منهم) على يد العباسيين، كما كان هنالك (اسلام تركي) رغم انه كان مزيفاً منذ البداية ولكنهم استفادوا من هذا الاسلام منذ استيطانهم في كردستان لاول مرة وحتى تأسيس دولتهم الحديثة (الجمهورية التركية) واستطاعوا خداع الاكراد ثلاث مرات في التاريخ والاستفادة منهم باسم الدين الاسلامي كما اسلفنا في معركة جالديران و في حروب البلقان باسم الفرسان الحميدية وفي معاهدة لوزان ولكن مع الاسف لم يتكون اسلام كردي أبداً، وكانت الكردية في خدمة الاسلام دائماً

ورغم ذلك فقد احتفظ الاكراد بكيانهم كشعب مختلف عن الشعوب المجاورة وحافظوا على لغتهم وتاريخهم ولم يتركوا ارضهم لذلك فمن المؤكد انهم في النهاية سيصلون الى التحرر والاستقلال والوحدة الوطنية وتكوين امة كردستانية موحدة اسوة بالشعوب المجاورة في المنطقة.